Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

د. خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطى

الجدل الدينى بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس

(إبن حزم - الخزرجى)

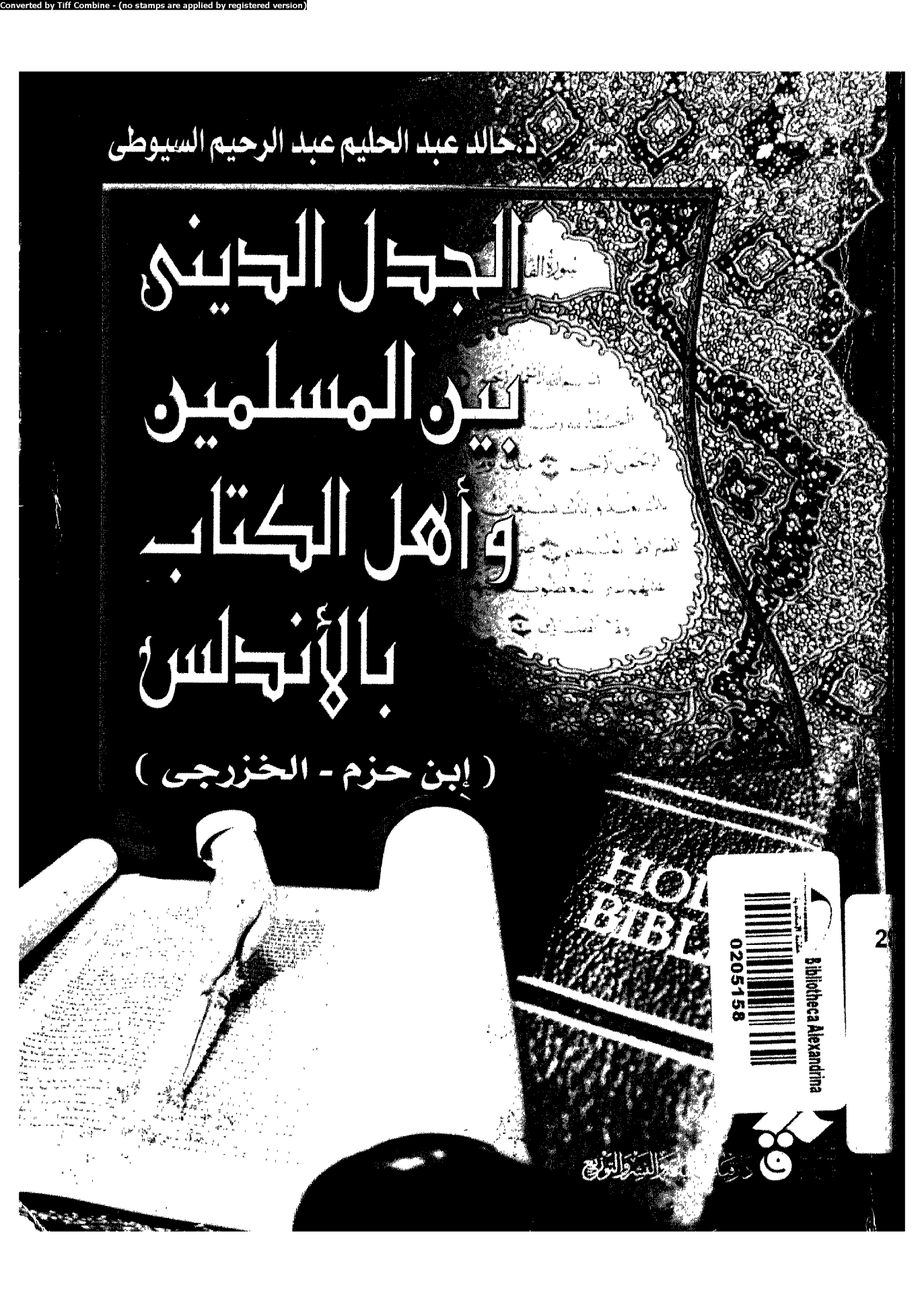

Bibliotheca Alexandrina
0205158

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجدل الدينى

بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس

(ابن حزم - الغزرجى)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجدل الدينى

بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس

(ابن حزم - الخزرجى)

تأليف

د. خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطى

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

الناشر

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع(القاهرة)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكتـــــاب : الجدل الدينى بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس

المـــؤلـــف : د. خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطى

رقـــم الإيـــداع : ٢٥٩٥ / ٢٠٠١ م

الترقيم الدولى : I S B N

977 - 303 - 326 - 0

تاريخ النشـــر: ٢٠٠١م

الناشـــــر : دار قباء

للطباعة والنشر والتوزيع

حقوق الطبع والترجمة والاقتباس محفوظة

الإدارة ٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج امون

الدور الأول - شقة ٦

☎ ٦٣٦٢٥٦٢- فاكس / ٦٣٧٤٠٣٨

المكتـــبـــة : ١٠ شارع كامل صدقى الفجالة (القاهرة)

☎ ٥٩١٧٥٣٢ / ✉ ١٢٢ (الفجالة)

المـــطـــابـــع : مدينة العاشر من رمضان - المنطقة الصناعية (C1)

☎ ٠١٥/٣٦٢٧٢٧

WWW. alinkya.com/debaa

e-mail: qabaa @ naseej.com

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

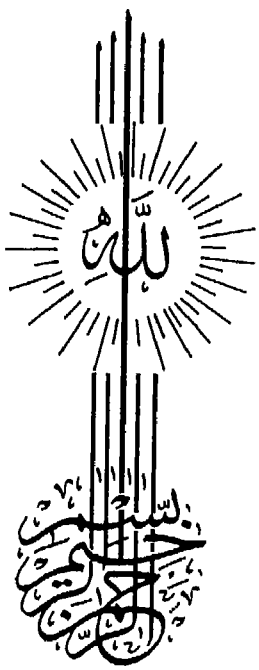

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

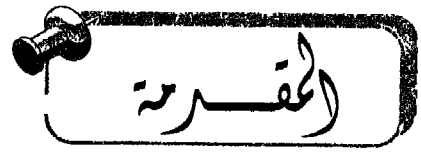

بين فتح المسلمين للأندلس بقيادة طارق بن زياد (٩٢هـ/٧١١م) وخروج الأمير أبى عبد الله آخر حكام المسلمين بالأندلس (٨٩٧هـ/١٤٩٢م) شهدت الأمة الإسلامية فى الأندلس تاريخًا مليئًا بالعبر ، فقد شهد التاريخ الأندلسى قيام الحضارة الإسلامية، وازدهارها ثم انهيارها .

وكانت هذه الحضارة ذات ملامح متميزة ؛ حيث التقى على أرض الأندلس الشرق والغرب ، وتهيأت الفرصة لكى يتم الاحتكاك الثقافى بين أتباع الديانات الثلاث من المسلمين واليهود والنصارى ، وكان الجدل الدينى من أهم مظاهر هذا التفاعل الحضارى وقد وقع اختيارى على دراسة الجدل الدينى فى الأندلس متمثلاً فى جدل ابن حزم ، وأحمد بن عبد الصمد الخزرجى ؛ لعدة أسباب من أهمها :

١ – معرفة الأثر الحضارى ، الذى تركه المسلمون بالأندلس فى تأسيس علم مقارنة الأديان .

٢ – الكشف عن جانب مهم من جوانب حضارة المسلمين فى الأندلس ، وتفاعلهم الفكرى ، والعقدى مع أصحاب الرسالات السماوية .

كذلك معرفة الأثر الذى تركه هذا الجدل الدائر فى الأندلس على علماء المشرق، والكشف عن مدى الإفادة العلمية، التى أفادها المشرقيون من علماء الأندلس فى هذا المجال . ويلقى ذلك الضوء على التبادل الثقافى، والفكرى الذى كان قائمًا بين الأندلسيين والمشرقيين .

٣ – التعرف على طبيعة المشكلات التى كانت قائمة بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس ومقارنتها بمثيلاتها فى الشرق ؛ لمعرفة مدى تشابه أو اختلاف هذه المشكلات بين الأندلس ، والمشرق ، وكيفية معالجة علماء الأندلس ، والمشرق لهذه الاختلافات الجدلية والعقدية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤ – الكشف عن الدور المهم الذى قامت به بعض الشخصيات الأندلسية فى الدفاع عن الإسلام وإثبات صحة عقائده ، ونقد عقائد مخالفيه من أهل الكتاب ، وعلى رأس هؤلاء ابن حزم الظاهرى ، وأحمد بن عبد الصمد الخزرجى .

٥ – معرفة مدى التزام المسلمين بآداب الجدل الرفيعة ، التى استمدوها من القرآن الكريم ، وسيرة النبى ﷺ .

ولا ريب أن هذا الجدل سيتعرض لدراسة تاريخ الأديان ، ومقارنتها ، وهى علوم أصبحت فى ظل التطورات السريعة ، والمتلاحقة التى يشهدها عالمنا المعاصر تدرس الأديان على مستويات متعددة ، فتاريخ الأديان يُعنى بمعرفة التطورات التاريخية ، التى صاحبت دينًا ما من حيث ظهوره والعقبات التى واجهت انتشاره ، وتاريخ صاحب الرسالة ، وكذلك دراسة تواتر الكتب المقدسة ... إلخ .

ومقارنة الأديان تهتم بالمقارنة بين الأديان من حيث العقائد كالألوهية بين الإسلام واليهودية ، والنصرانية وكذلك النبوة بين الديانات الثلاث ، أو دراسة النسخ بين هذه الأديان . ومن الممكن أن تتم المقارنة أيضًا على مستوى الشرائع كالزواج ، وغير ذلك من أحكام الأسرة ، وباقى الأحكام التشريعية الأخرى التى يمكن دراستها فى صورة مقارنة .

ومن الممكن أن نقارن الطقوس ، والشعائر ، أو العبادات بين الأديان كالصلاة والزكاة والصوم والحج ... إلخ .

ومن الصعوبات التى واجهتنى فى إعداد البحث عدم التوازن القائم بين شخصيتى الدراسة فأولهما (ابن حزم) معروف لدى الأوساط العلمية، والثقافية . أما الشخصية الثانية (أحمد بن عبد الصمد الخزرجى) ، فغير معروف نسبيًا، والتحقيقات العلمية التى تمت لكتابه الوحيد الذى وصلنا « مقامع هامات الصلبان، ومراتع روضات الإيمان» لم تبين الكثير عن حياة هذه الشخصية ولم تشف الغليل فى الكشف عن مكانته العلمية فى عصره ، وكانت هذه هى المفارقة القائمة بين هذين العلمين الجليلين ، وينبغى التغلب عليها ، ومحاولة الموازنة بينهما قدر الإمكان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

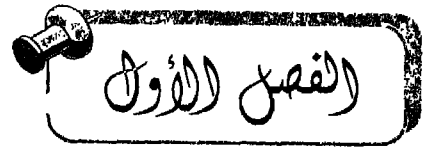

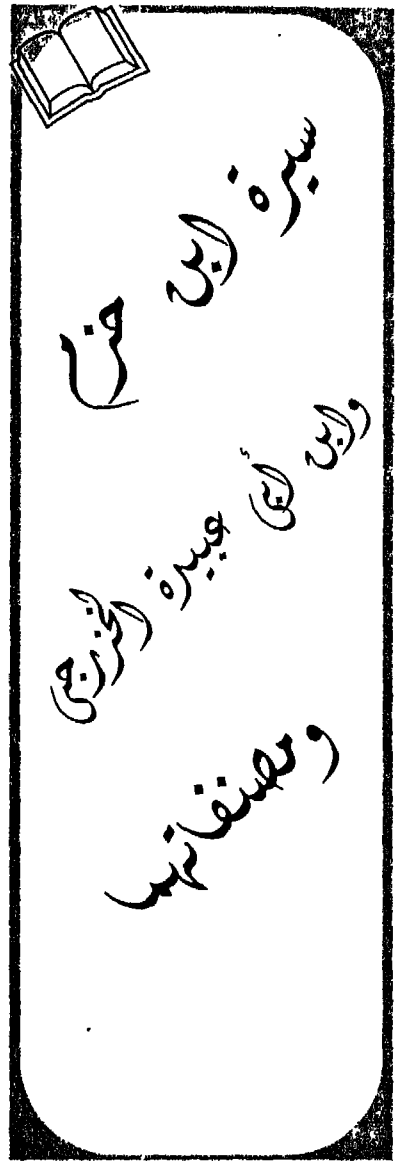

عند دراسة الشخصيات العلمية، والتعرض لجهودها الفكرية، فإنه يجدر بالباحث الإحاطة بسيرتهم الذاتية، وما أثَّر فى نشأتهم من ظروف البيئة الخاصة «الأسرة» والبيئة العامة كالأحوال السياسية، والاجتماعية، والدينية، والفكرية، التى كانت سائدة فى عصرهم، مما يؤثر فى تكوينهم العلمى ومن ثم ينعكس على إنتاجهم الفكرى الجدير بالحصر، والتحقيق والتصنيف.

أولاً - ابن حزم:

سيرة ابن حزم:

يعتبر ابن حزم من الشخصيات اللامعة فى التاريخ الإسلامى العلمى؛ حيث يقف على قدم المساواة مع أعلام؛ مثل الغزالى (ت ٥٠٥هـ)، وابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) وابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) وغيرهم من المفكرين المسلمين وسأبدأ بالتعريف بهذا العالم الأندلسى:

(أ) اسمه:

يدعى على بن أحمد بن سعيد حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معد بن سفيان ابن يزيد مولى يزيد بن أبى سفيان صخر بن حرب الأموى.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٢) لقبه :

ليس لابن حزم لقب مميز به، وإنما ذكرت المصادر ألقابًا له اشتهرت بين علماء المسلمين وتذكر عادة قبل أسمائهم، مثل الحافظ، الأديب[١]، الفقيه، المجتهد[٢].

(٣) كنيته :

يكنى بأبى محمد، وكثيراً ما كان ابن حزم يصدر كلامه بقوله: قال أبو محمد

(٤) نسبه :

لابن حزم نسب علمى، فيقال ابن حزم الظاهرى نسبة للظاهرية التى اتخذها منهجًا له ونسب جغرافى، فيقال: ابن حزم القرطبى نسبة إلى قرطبة مسقط رأسه، أو الأندلسى نسبة إلى وطنه الأندلس، وأخيراً لابن حزم نسب عرقى أو جنسى، وهو موضع خلاف بين المؤرخين على النحو التالى:

أغلب المصادر التاريخية تنسب ابن حزم لأصل فارسى، فذكر هذا النسب الحميدى (ت٤٨٨هـ) فى جذوة المقتبس [٣]، وابن خير الإشبيلى (ت٥٧٥هـ) فى فهرست ما رواه عن شيوخه[٤]، وابن بشكوال (ت٥٧٨هـ) فى الصلة[٥]، وعبد

(١) البداية والنهاية: ابن كثير أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى (ت٧٧٤هـ) دار الفكر العربى ط١ هـ/١٩٣٢ م - جـ١٢ - أحداث سنة ٤٥٦هـ . ص ٩١

(٢) تذكرة الحفاظ : الذهبى شمس الدين أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م) عنى بطبعه السيد مصطفى على - المجلد الثالث - الطبقة الرابعة عشر ص٣٤١

(٣) جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس، وأسماء رواة الحديث، وأهل الفقه والأدب، وذوى النباهة، والشعر: الحميدى أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله (ت٤٨٨هـ) - نشر وتحقيق مكتب الثقافة الإسلامية - شخصية رقم ٧٠٨ ص٢٠٩

(٤) فهرست ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة فى ضروب العلم، وأنواع المعارف : أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموى الإشبيلى (ت٥٧٥هـ) - تحقيق فرنسشكة قدارة زيدين، وتلميذه خليار باره طرغوة - منشورات المكتب التجارى ببيروت - مكتبة المثنى بغداد - مؤسسة الخانجى القاهرة ١٩٨٣م - ص ٤١٠

(٥) الصلة : ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت٥٧٨هـ) - الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م - القسم الثانى - ج٧- شخصية رقم ٨٩١٤ - ص ٤١٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الواحد المراكشى (ت٦٤٧هـ) فى المعجب فى تلخيص أخبار المغرب وذكر أن هذا النسب وجد مكتوبًا بخط ابن حزم على ظهر كتاب من تصانيفه[١]، وابن خلكان (ت٦٨١هـ) فى وفيات الأعيان[٢]، وابن كثير (ت٧٧٤هـ) فى البداية والنهاية[٣]، وابن العماد الحنبلى (ت١٠٨٩هـ) فى شذرات الذهب[٤] وكذلك ورد هذا النسب الفارسى فى «المغرب فى حلى المغرب»[٥].

وينفى مروان بن حيان نسب ابن حزم الفارسى، ويذهب إلى أنه اسبانى الأصل؛ إذ يقول :

"وقد كان من غرائبه انتماؤه فى فارس، واتباع أهل بيته له فى ذلك بعد حقبة من الدهر تولى فيها أبوه الوزير المعقل فى زمانه، الراجح فى ميزانه أحمد بن سعيد بن حزم لبنى أمية أولياء نعمته، لا عن صحة ولاية لهم عليه، فقد عهده الناس خامل الأبوة، مولد الأرومة[٦] من عجم لبلة جده الأدنى حديث عهد بالإسلام [٧]" وقد نقل هذا الأصل الإسبانى المؤرخون، الذين نقلوا كلام ابن حيان كياقوت الحموى[٨]،

---

(١) المعجب فى تلخيص أخبار المغرب : عبد الواحد المراكشى (ت ٦٤٧هـ) تحقيق الأستاذ محمد سعيد العريان – القاهرة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث – ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م – ص ٩٣

(٢) وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان : ابن خلكان شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر (ت٦٨١هـ) – تحقيق د. إحسان عباس – دار الثقافة ببيروت – شخصية رقم ٤٨٨ – ص٣٢٥

(٣) البداية والنهاية : ابن كثير – جـ١٢ – ص٩١

(٤) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب : أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى (ت١٠٨٩هـ) – دار الآفاق ببيروت – تحقيق لجنة إحياء التراث العربى – ج٣ سنة ٦٥٦هـ دو تاريخ.

(٥) المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد – تحقيق د. شوقى ضيف – دار المعارف ج١ – ص٣٥٤

(٦) الأرومة هى الأصل.

(٧) الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة : أبو الحسن على بن بسام الشنترينى (ت٥٤٢هـ) – تحقيق د.إحسان عباس – دار الثقافة بيروت –ط٢ – ١٣٩٩هـ.١٩٧٩م – المجلد الأول – القسم الأول ص١٧٠

(٨) معجم الأدباء : ياقوت الحموى – ج١٢ – شخصية رقم ٦٢ – ص ٢٥٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويذكر القفطى (ت٦٤٦هـ) أن أصل آباء ابن حزم من غرب الأندلس[١]، ولا يذكر شيئًا عن نسبه الفارسى ولعل ذلك يرجع لاختصار القفطى فى تقصى أخبار ابن حزم.

وتنقى أستاذتنا الدكتورة سهير فضل الله أبو وافية أن يكون ابن حزم، كما يذكر ابن حيان من المولدين وهم ذرية الإسبان الذين أسلموا بعد الفتح الإسلامى نظرًا للخصومة، والعداء، الذى يكنه ابن حيان تجاه ابن حزم؛ حيث كان والداهما يعملان فى وزارة المنصور بن أبى عامر، وكانت بينهما منافسة[٢].

والعجيب أن أحد المستشرقين[٣] ذهب إلى أن ابن حزم ينحدر من أصل يونانى جريًا وراء نسبة كل عبقرية إلى اليونان، وكأن اليونان وحدها هى موطن العباقرة[٤].

والظريف أن صاحب كشف الظنون نسب ابن حزم للأمويين بعد نسبة أحد الكتب إليه[٥].

وأرى بعد الاطلاع على مختلف هذه الآراء أن ابن حزم سواء كان من أصل فارسى، أو من الأندلس، أو غيرها فإنه فى نهاية الأمر لا يخرج عن كونه مفكرًا مسلمًا كتب باللغة العربية، ووالده وأجداده كانت لهم أسماء عربية. كما أن ابن حزم

---

(١) إخبار العلماء بأخبار الحكماء : القفطى جمال الدين أبو الحسن على بن القاضى الأشرف يوسف (ت٦٤٦هـ) – مكتبة المتنبى – دون تاريخ.

(٢) ابن حزم علم من أعلام الفكر الإسلامى بالأندلس : د. سهير فضل الله أبو وافية – مجلة الدراسات الإسلامية فى الأندلس – عدد خاص حول الإسلام فى الأندلس – ربيع وصيف ١٤١٢هـ/١٩٩١م – م٢٦ عدد ١، ص٣٢٨

(٣) مستشرق إيطالى يدعى جبريلى .

(٤) ابن حزم علم من أعلام الفكر الإسلامى بالأندلس: د.سهير فضل الله أبو وافية – ص٣٣٠

(٥) ورد "إظهار تبديل اليهود والنصارى فى التوراة والإنجيل، وبيان تناقض ما بأيديهم مما لا تحتمل التأويل للشيخ أبى محمد علي بن أحمد الأموى المتوفى سنة ست وخمسين وأربعمائه" كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجى خليفة – طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة فى طبعتها البهية سنة ١٩٤١م/١٣٦٠هـ المجلد الأول ص ١١٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هو إفراز الحضارة الإسلامية، والمجتمع العربى المسلم بالأندلس، الذى تفاعل معه وكان أحد عناصره المؤثرة.

(٥) مولد ابن حزم :

حدد ابن حزم ساعة مولده، ومكان ولادته تحديداً دقيقًا قلمًا نجده فى ترجمة علماء المسلمين قديمًا؛ حيث ذكر أنه ولد بقرطبة فى الجانب الشرقى فى ربض منية المغيرة [١]، قبل طلوع الشمس، وبعد سلام الإمام من صلاة الصبح - آخر ليلة الأربعاء آخر يوم من شهر رمضان المعظم سنة أربع وثمانين، وثلاثمائة من الهجرة[٢].

(٦) نشأة ابن حزم :

نشأ ابن حزم نشأة منعمة، فوالده كان وزيراً فى عهد المنصور بن أبى عامر[٣]، وكان لأسرة ابن حزم قصر عظيم امتلأ بالجوارى الحسان، الذى تعلم ابن حزم فى فترة مبكرة من حياته على أيديهن؛ إذ يقول : "ولقد شاهدت النساء، وعلمت من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيرى؛ لأنى ربيت فى حجورهن، ونشأت بين أيديهن، ولم أعرف غيرهم، ولا جالست الرجال إلا وأنا فى حد الشباب، وحين تفيل وجهى، وهن علمننى القرآن، ورويننى كثيراً من الأشعار، ودربننى فى الخط[٤] ..".

وهذا النص لابن حزم يعكس مدى الرقى الحضارى، الذى بلغته المرأة الأندلسية فى كنف الحضارة الإسلامية بالأندلس، ويتضح من النص السابق أيضًا أن النساء كن على معرفة بالقرآن الكريم، والشعر العربى، والخط العربى، ويعلمن الأطفال فى القصور.

---

(١) المنية : هى مكان الإقامة الذى تحيط به الحدائق الواسعة.

(٢) الصلة البشكوالية - قسم ٢ - جـ ٧ - ص ٤١٧

(٣) المنصور بن أبى عامر كان هو الحاكم الحقيقى للأندلس بعد وفاة المستنصر، حيث أصبح وصيًا للخليفة هشام المؤيد الذى كان صغيراً.

(٤) طوق الحمامة فى الإلفة والآلاف لابن حزم الأندلسى تحقيق الطاهر أحمد مكى - دار المعارف طه سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ص٧٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان لوالد ابن حزم الوزير الشاعر أحمد بن سعيد بن حزم (ت٤٠٢هـ) أثر عظيم فى نشأته فحرص على تلقينه منذ نعومة أظفاره، وكان ينصحه بأن الإنسان إذا أراد أن يعيش فى غنى فعليه بالقناعة بما قسم الله له، والرضى بأقل مما أعطاه الله تعالى، فذكر ابن حزم أو والده أنشده فى بعض وصاياه قائلاً:

إذا شئت أن تحيا غنيًا فلا تكن على حالة إلا رضيت بدونها[١]

ولكن هذا العيش الرغد، الذى نشأ فيه الفتى الأندلسى لم يكن ليستمر، فما إن شب حتى بدأ الدهر يلقى بتقلباته على ابن حزم، وأسرته.

(٧) النكبات العائلية التى أصابت ابن حزم :

بمجرد إعلان وفاة الخليفة هشام المؤيد سنة ٣٩٩هـ، وتوالت النكبات على أسرة ابن حزم، إذ يقول : "ثم شُغِلنا بعد قيام أمير المؤمنين هشام المؤيد بالنكبات، وباعتداء أرباب دولته، وامتُحِنا بالاعتقال، والترقيب، والإغرام الفادح والاستتار، وأرزمت الفتنة، وألقت باعها، وعمت الناس، وخصتنا إلى أن توفى أبى الوزير رحمه الله، ونحن فى هذه الأحوال، بعد العصر يوم السبت لليلتين بقيتا من ذى القعدة عام اثنين وأربع ومائة، واتصلت بنا تلك الحال بعده[٢] .." .

وبالفعل استمرت تقلبات الدهر تعصف بابن حزم، وأسرته إذ قام جند البربر[٣] بنهب منازل ابن حزم بالجانب الغربى من قرطبة مما اضطره إلى مغادرتها سنة٤٠٤هـ وأخذ يتسمع أخبارها، فوصفت له بأنها قد طُمِست معالمها، وصارت صحارى جدبة بعد العمران وأصبحت مأوى للذئاب، ملاعب للجان ... إلخ.

---

(١) الصلة لابن بشكوال - القسم الأول ص ٢٥

(٢) طوق الحمامة لابن حزم ص١٤٧. وكان لابن حزم أخ (ت ٤٠١هـ) انظر طوق الحمامة ص١٥٤

(٣) كان المنصور ابن أبى عامر (ت٣٩٢هـ) قد قرب البربر، وقوى شوكتهم، وقد أثاروا القلاقل بالأندلس فى هذه الفترات التاريخية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولعل خير معبر عن حال ابن حزم هو ابن حزم نفسه؛ إذ يقول لمحدثه: "فأنت تعلم أن ذهنى متقلب، وبالى مهصر بما نحن فيه من نبو الديار، والخلاء عن الأوطان، وتغير الزمان، ونكبات السلطان، وتغير الإخوان، وفساد الأحوال، وتبدل الأيام، وذهاب الوفر، والخروج عن الطارف والتالد، واقتطاع مكاسب الآباء، والأجداد والغربة فى البلاد، وذهاب المال والجاه، والفكر فى صيانة الأهل والولد، واليأس عن الرجوع إلى موضع الأهل والولد، ومدافعة الدهر، وانتظار الأقدار، لا جعلنا الله من الشاكين إلا إليه"(١).

ويجدر بنا أن نتعرف على أساتذة ابن حزم الذين تلقى على أيديهم العلم.

ويمكن معرفة أساتذة ابن حزم من خلال المصادر التى ترجمه له، ومن خلال ما كتبه عن نفسه، ومن أساتذة ابن حزم محمد بن الحسن المذحجى(٢) (مات بعد الأربعمائة هجرية) وكان شيخه فى المنطق، ويعرف بابن الكتانى القرطبى، وكان أديبًا، وشاعرًا.

وسمع ابن حزم كذلك من أبى عمر أحمد بن الجسور(٣) (ت٤٢٠هـ)، ويحيى ابن مسعود(٤) وتعلم الفقه على أبى عبد الله بن دحون(٥) (ت٤١٢هـ).

ومن أساتذة ابن حزم "القاضى يونس بن عبد الله (ت٤٢٢هـ) وأبى بكر حمام ابن أحمد القاضى (ت٤١٦هـ)، وأبى محمد بن بنوس القاضى (٦) ..." .

---

(١) طوق الحمامة لابن حزم ص١٩٧

(٢) البداية والنهاية لابن كثير، حـ ١٢ أحداث سنة ٤٥٦هـ ص٩١ وفيات الأعيان لابن خلكان م٣ ص٣٢٦، تذكرة الحفاظ للذهبى م٣ ص ٣٤١ – نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب المقرى المطبعة الأزهرية ط١ سنة ١٣٠٢هـ – جـ١ ص١٣٣.

(٣) جذوة المقتبس ص٢٠٩، شذرات الذهب جـ٣ سنة ٤٥٦هـ – الصلة قسم ٢ جـ٧ ص٤١٥، ٤١٦ تذكرة الحفاظ م٣ ص ٣٤١

(٤) شذرات الذهب جـ٣ سنة ٤٥٦هـ تذكرة الحفاظ م٣ ص٣٤١

(٥) معجم الأدباء جـ ١٢ ص ٢٤١، ٢٤٢

(٦) الصلة قسم ٢ جـ ٧ ص٤١٥ مع ملاحظة أنه ورد بتذكرة الحفاظ عبد الله بن يوسف القاضى وليس يونس.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن أساتذة ابن حزم محمد بن سعد (ت٤٥٠هـ)، وعبد الله بن ربيع التميمى (ت٤٤٢هـ) وعبد الله بن خالد (ت ٤٣٣هـ)، وعبد الله بن يوسف بن يامى[١].

وذكر ابن حزم أن من أساتذته الشيخ أبى القاسم عبد الرحمن بن أبى يزيد المصرى، فقال إنه ذهب : "فى لمة من الطلاب، وأصحاب الحديث، ونحن نريد مجلس الشيخ أبى القاسم عبد الرحمن بن أبى يزيد المصرى أستاذى ؟ رضى الله عنه[٢]".

وكذلك ذكر من أساتذته الفقيه أبى الخيار اللغوى [٣] (ت٤٢٦هـ)، الذى درس ابن حزم على يديه الأدب، وتأثر به فى الانتقال للمذهب الظاهرى[٤].

وذكر ابن حزم أيضًا أنه تلقى الحديث عن عبد الله بن محمد الأزدى، وسائر شيوخ المحدثين بقرطبة فى فترة تلقيه العلم بها[٥].

بعد هذه الإلمامة السريعة بسيرة ابن حزم فإنه يجدر بنا أن نتعرف على أهم ملامح البيئة العامة فى عصره والتى تركت أثرها فى فكره، وشكّلت وجدانه، ومزاجه الشخصى وهو ما سنوضحه فيما يلى:

١ - الأحوال السياسية فى عصر ابن حزم :

عاش ابن حزم فى أواخر القرن الرابع الهجرى، حتى أوائل النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى (٣٨٤هـ : ٤٥٦هـ) وهى فترة تاريخية شهدت تطورات سياسة خطيرة ومؤثرة فى تاريخ الأندلس، ويكفى أن نشير إلى أن المؤرخين قد انقسموا فى تحديد، وتسمية بعض الفترات التاريخية، فمنهم من رأى أن الخلافة الأمية قد سقطت فعليًا بوفاة الخليفة الأموى المستنصر بالله (ت٣٦٦هـ)[٦] وتولية

(١) تذكرة الحفاظ الذهبى م٣ ص٣٤١

(٢) طوق الحمامة لابن حزم ص ١٠٢، ١٦٦

(٣) طوق الحمامة لابن حزم ص١٤٠ أبو الخيار هو مسعود بن مفلت الشنترينى، وكان ظاهرى المذهب.

(٤) GAL.I.S 692. U تاريخ آداب العرب لبروكلمان.

(٥) طوق الحمامة لابن حزم ص ١٥٧

(٦) الحكم الثانى بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله تولى الخلافة فى الفترة ٣٥٠هـ : ٣٦٦هـ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ابنه هشام المؤيِّد بالله الخلافة، وهو فى الحادية عشرة من عمره؛ حيث كانت السلطة الفعلية فى يد المنصور بن أبى عامر رغم أنه يحكم باسم الدولة الأموية(١).

وهناك من اعتبر أن سقوط الخلافة الأموية كان بإعلان وفاة هشام المؤيِّد سنة٣٩٩هـ حيث بدأ عصر الطوائف (ملوك الطوائف)، وتقدر إمارات الطوائف بست عشرة، أو عشرين إمارة مستقلة يغلب على ملوكها الأنانية، والظلم، والضعف.

وأخيرًا هناك من ذهب إلى أن هذا العصر بدأ بالإعلان الرسمى لسقوط الخلافة الأموية بالأندلس عام ٤٢٢هـ.

كل هذه التطورات السريعة، والمتلاحقة، والتى عاصرها ابن حزم، تركت آثارها فيه، وعبر عنها فى كتاباته، بل اصطلى بنارها؛ حيث اتهم بأنه يدعو للدولة الأموية بعد سقوطها ٤٠٧هـ، واعتقل لمدة شهر، ثم خرج مطرودًا من "ألرية".

دعوى ولاء ابن حزم للأمويين :

ارتبطت أسرة ابن حزم تاريخيًا بالأمويين، فجد ابن حزم الأعلى يزيد كان مولى ليزيد ابن أبى سفيان، ثم عمل والد ابن حزم (أحمد بن سعيد) وزيرًا للخليفة الأموى هشام المؤيِّد ولكى نتعرف على موقف ابن حزم من الدولة الأموية وممن نازعوها الخلافة كالعامريين والحموديين، فإنه لزامًا علينا أن نفهم موقفه الفقهى ممن يستحق الخلافة وطرق تولية الخليفة فحدد ابن حزم شروط الإمامة بقوله : "وإنما يجب أن يكون الإمام قرشيًا بالغًا ذكرًا مميزًا. بريئًا من المعاصى الظاهرة حاكمًا بالقرآن والسنة فقط(٢)" .

---

(١) كيف ضاع الإسلام من الأندلس بعد ثمانية قرون "مأساة الفردوس المفقود (٩٢ : ٨٩٧هـ) (٧١١م/١٤٩٢م) عبد الفتاح مقلد الغنيمى سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

(٢) الفصل : ابن حزم – ج٤ – ص ١٨٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهكذا نجد ابن جزم اشترط قرشية الإمام : "وهم ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، الذين يرجعون بنساب آبائهم إليه[١]" وهذه القرشية لم تتوفر فى العامريين الذين نازعوا الأمويين الخلافة، فطبيعى أن يتنكر ابن حزم لمحاولات عبد الرحمن شنجول العامرى[٢] الحصول على ولاية العهد من الخليفة هشام المؤيِّد؛ لأن العامريين من أهل اليمن وليسوا قرشيين فيقول ابن حزم: "من تسمى بالأمر والخلافة من غير قريش، فليس خليفة ولا إمامًا ، ولا من أولى الأمر فهو فاسق عاص لله تعالى هو وكل من ساعده ، أو رضى أمره لتعديهم حدود الله على لسان رسول الله (ﷺ)[٣]".

أما بالنسبة لبنى حمود ، وهم قرشيون من سلالة على ابن أبى طالب – كرَّم الله وجهه – وقد استطاعوا الانتضاض على الأمويين : "وظهرت دولة الطالبية، وبويع على بن حمود الحسنى المسمى بالناصر بالخلافة[٤] "وكان هذا سنة ٤٠٧هـ، وأشرنا إلى اتهام ابن حزم بالدعوة لبنى أمية؛ إذ يقول : "وفى إثر ذلك نكبنى خيران صاحب ألمرية؛ إذ نقل إليه من لم يتق الله – عز وجل – من الباغين وقد انتقم الله منهم عنى وعن محمد ابن اسحاق صاحبى أنَّا نسعى فى القيام بدعوة الدولة الأموية[٥]..".

ورغم أنه ليس بين أيدينا ما يؤكد أن ابن حزم كان يدعو للأمويين، فإننى أرى أنه قد تنكر للحموديين رغم قرشيتهم – وذلك لأنه يرى جواز تولية الإمامة عن طريق

---

(١) المحلى : ابن حزم تحقيق لجنة إحياء التراث العربى ج١ – دار الجيل ودار الآفاق بيروت ص٤٤

(٢) عبد الرحمن بن أبى عامر المنصور، وقد لقب بالمنصور وبشنجول وهو تصغير اسم أحد أخواله، وكان قد تولى الوزارة سنة ٣٩٩هـ، واستطاع الحصول على مرسوم من هشام المؤيَّد يعطيه ولاية العهد من بعده.

(٣) المصدر السابق – ج٩ – كتاب الإمامة – ص٣٦٠

(٤) طوق الحمامة : ابن حزم – ص١٥٥، ١٥٦

(٥) المصدر السابق ص ١٥٦

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولاية العهد[1] وهذا ما لم يتوفر للحموديين الذين اغتصبوا السلطة من الأمويين الذى جروا على ولاية العهد فى أعقابهم.

من كل ما سبق فإنى أرى أن ابن حزم طبقًا لآرائه الفقهية مال لحق الأمويين فى الخلافة وإن كان ليس بين أيدينا ما يدل على أن هذا الميل قد وصل إلى درجة الدعوى لهم كما أنه لم يكن يميل للأمويين تعصبًا، وإنما اقتناعًا بمواقف فقهية اتخذها، وقد هاجم ابن حزم خروج سيدنا معاوية على طاعة الإمام على فقال : "وأما أمر على و الحسن ومعاوية، فقد صح عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه أنذر بخارجة تخرج من طائفتين من أمته يقتلهما أولى الطائفتين بالحق، فكان قاتل تلك الطائفة على رضى الله عنه، فهو صاحب الحق بلا شك، وكذلك أنذر عليه السلام بأن عمارًا تقتله الفئة الباغية"[2].

---

(١) ويجيز ابن حزم إذا لم يذكر الخليفة وليًا للعهد أن يبادر بعد موته أحد القريشيين ويدعو لنفسه ويكون هو الأولى بالخلافة لسبقه بالدعوى لإمامته ويجيز كذلك أن يعهد الإمام إلى رجل ثقة أو أكثر من ثقة لاختيار الخليفة.

(٢) الفصل : ابن حزم – ج٤ – ص١٥١ ورد بصحيح مسلم (حدثنى عبيد الله القواريرى حدثنا محمد ابن عبد الله بن الزبير حدثنا سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن الضحاك المشرقى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث ذكر فيه قومًا يخرجون على فرقة مختلفة يقتلهم أقرب الطائفتين من الحق) ص١٨٦ – ورد بصحيح بخارى : (حدثنا مسدد قال حدثنا عبد العزيز ابن مختار قال حدثنا الحذاء عن عكرمة قال لى ابن عباس ولابنه على انطلقا إلى أبى سعيد فاسمعا من حديثه فانطلقنا فإذا هو فى حائط يصلحه، فأخذ رداءه فاختبى ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى ذكر بناء المسجد فقال كنا نحمل لبنة وعمار لبنتين فرآه النبى صلى الله عليه وسلم فينفض التراب عنه ويقول : ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار. قال يقول عمار أعوذ بالله من الفتن) صحيح البخارى – كتاب الصلاة – باب التعاون فى بناء المسجد – دار الجيل ص١٢١، ١٢٢

ورد بصحيح مسلم : (حدثنا أبى بكر بن أبى شيبة حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عون عن الحسن عن أم سلمة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقتل عمارا الفئة الباغية) صحيح مسلم – كتاب الفتن وأشراط الساعة – باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء – المجلد الرابع – ج٨ – ص١٨٦

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويتضح لنا من النص السابق أن ولاء ابن حزم كان لمواقفه الفقهية فهو يؤيد بنى أمية حين يكون موقفه الفقهى يتفق مع خلافتهم، ويهاجمهم حين يجد من النصوص ما يدل على أنهم قد أخطأوا، أو جانبهم الصواب حتى أنه كذَّب من قال بأن الخلافة لا تكون إلا فى بنى أمية بن عبد شمس[١] كما أنه هاجم من حاد عن العدل من خلفاء بنى أمية بالأندلس، فنجده قد حمل على الخليفة المنذر[٢] (ت٣٠٠هـ) فوصفه بأنه كان قتَّالاً تهون عليه الدماء[٣].

٢ - الحياة الاجتماعية والدينية :

عاش بالأندلس عناصر، وأجناس متباينة فالتقى على أرض الأندلس طوائف من الشرق والغرب، ويمكن أن نحصر أهم الطوائف التى كونت المجتمع الأندلسى كما يلى:

- **المسلمون** : وهم العرب والبربر والمولدون
- **النصارى** : وهم أهل الذمة أو المعاهدون، الذين عاشوا فى ظل الإسلام لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، ومن ضمن هؤلاء الصقالبة الذى جاءوا من الدول الغربية وعاشوا فى خدمة المسلمين.

وقد عاشت هذه الطوائف فى أمان، وحرية كفلها لهم الإسلام، فأقبلوا على الثقافة العربية، والإسلامية بشغف، وعرف هؤلاء بالمستعربين، ووصل اليهود فى عصر ابن حزم إلى منصب الوزارة، فكان إسماعيل بن النغريلة[٤] وزيراً "لحبوس" حاكم

---

(١) الفصل : ابن حزم - ج٤ - ص ١٥٤

(٢) عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية كنيته أبو محمد استمر حكمه للأندلس ٢٥ سنة و ٢٥ يومًا وتوفى سنة ٣٠٠ هـ وهو ابن اثنتين وسبعين سنة.

(٣) تاريخ اسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام ص ٢٦

(٤) إسماعيل بن النغريلة وصف بالذكاء، وحسن المداراة والتدبير، وكان "باديس" يستشيره فى زمور الدولة ويأخذ برأيه، وله علم بشريعة اليهود والدفاع عنها، وولد بقرطبة وتخصص فى الدراسات التلمودية ثم درس الأدب العربى والفلسفة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

غرناطة، ثم لابنه "باديس بن حبوس"، ولما مات هذا الوزير خلفه ولده "يوسف ابن النغريلة[1]" الذى استولى على الدلة فى عهد "باديس" ، واستطال على المسلمين.

ودفعت هذه الأمور المتدهورة أصحاب الغيرة من المسلمين إلى الوقوف فى وجه غرور اليهود، وتطاولهم، فكتب أبو إسحاق الإلبيرى[2] قصيدة وصفت بأنها فجرت ثورة؛ حيث صور فيها الشاعر حال المسلمين ا لذليل فى مقابل ما يتمتع به اليهود من رغد، ونعيم فى العيش، ونقتبس من هذه القصيدة مجموعة من الأبيات بدأ الشاعر فيها بتصوير الخطأ، الذى وقع فبه باديس باختيار وزير يهودى، فقال :

ألا قل لصنهاجةَ أجمعين ... بدورِ النِدى وأسْدِ العَرين

لقد زلَّ سيِّدكُم زلةً ... تقرُّ بها أعين الشامتين

تخيَّر كاتِبه كافرًا ... ولو شاء كان من المسلمين

ثم يصور أبو إسحاق أثر هذا الاختيار الخاطئ على اليهود والمسلمين:

فعزَّ اليهود وانتَخَوا ... وتاهُوا وكانوا من الأرزلين

ونالوا مناهم وجازوا المدى ... فحان الهلاكُ وما يشعرون

فكم مسلمٍ فاضلٍ قانتٍ ... لارذل قردٍ من المشركين

وما كان ذاك من سعيهم ... ولكن منَّا يقوم المعين

---

(١) يوسف بن إسماعيل بن النغريلة كان حاد الذهن جميل الوجه، ولم يعرف ذل اليهودية عمل والده على تثقيفه منذ صغره فجمع إليه المعلمون، ونبغ فى كثير من العلوم.

(٢) أبو إسحاق الإلبيرى : إبراهيم بن مسعود بن سعيد التجيبى، ولقبه الإلبيرى، وكنيته أبو إسحاق توفى قريبًا من سنة ٤٥٩هـ – ونبغ فى دراسة الفقه، وألف مدونته، عرف بتصانيفه فى الوعظ وأخبار الصالحين، وكان يقول شعرًا يغلب عليه التدين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويعتب الشاعر على "باديس" عتابًا رقيقًا واصفًا إيَّاه بالذكاء، والفطنة إلا فى هذا الاختيار، ثم يبين "أبو اسحاق" موقف اليهود وخاصة وزيرهم من المسلمين:

فـهم يذبحـون بأسـواقِـهـا ... وأنتم لأطرافِـــهـــا آكلون
ورخَّـم قـــــــردُهـم داره ... وأجرى إليها نميرَ العيون
فـصـارت حـوائِجُنا عنده ... ونحن على بابه قـائمـون
ويضـــحكُ منا ومن ديننا ... فـــإنّا إلى ربنا منقلبـــون

ثم يدعو "أبو إسحاق" "باديس" الحاكم إلى الانقلاب على اليهود حريصًا على أن يبين الحكم الفقهى من هذا الانقلاب، فاليهود خانوا العهد، ومن ثمَّ لا عهد لهم فأثارت القصيدة الحمية فى قلوب المسلمين؛ فانقلبوا على اليهود يقتلونهم، وهم يتغنون بالقصيدة، واختبأ "يوسف ابن النغريلة" فى بيت مليء بالفحم وسودَّ وجهه بهذا الفحم، ولكن المسلمين عرفوه فقتلوه، ثم صلبوه على باب المدينة.

وهكذا عايش "ابن حزم" تطاول أهل الكتاب على المسلمين بالأندلس، وخيانتهم للعهد مما ترك على أسلوبه الجدلى، الذى اتسم بالغلظة كما سنوضح وجاء فى مصنفين لابن حزم ها (الأخلاق والسير فى مداواة النفوس) و (طوق الحمامة) الكثير من مظاهر الحياة اليومية فى الأندلس؛ حيث قدّم لنا صورة حية لنفسية مسلمى الأندلس فى القرن الخامس الهجرى، وقواعد الأخلاق التى كانت مرعية فى مجتمعهم(١).

(١) تاريخ الفكر الأندلسى : آنخل جنثالث بالنثيا - ترجمة د.حسين مؤنس - مكتبة الثقافة الدينية ص٢١٨.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣ - الحياة الفكرية والعلمية :

يقول الشيخ أبو زهرة عن عصر ابن حزم إنه (كان عصر العلم حقًا فى الأندلس)[١] فرغم الانهيار السياسى، والصراع العسكرى، الذى شهده عصر ابن حزم فإن الحياة العلمية، والأدبية كانت مزدهرة، فأنشأ المنصور بن أبى عامر (ديوان الندماء) وكانت مهمته ترتيب الشعراء طبقات، وبذل العطاء لهم حسب أقدارهم الشعرية[٢]. وقلما نجد من ملوك الطوائف من لم يكن أديبًا، وتنافست قصورهم فى اجتذاب أعلام الكتاب، والأدباء، وتنافس أمراء الطوائف فى رعايتهم، والإغداق عليهم[٣]، وإن كان المنصور حمل على الفلسفة، وأحرق كتبْ الدهرية، والفلاسفة[٤].

وانتشر التعليم بين أبناء المجتمع الأندلسى، وعملت دور العلم فى الأندلس على تنمية هذا الشعب حضريًا:

دور العلم فى الأندلس :

تنوعت دور العلم فى الأندلس، ويمكن أن نحدد ثلاثة أماكن تعليمية رئيسية فى الأندلس على النحو التالى:

---

(١) ابن حزم حياته وعصره - أراؤه وفقهه : محمد أبو زهرة - دار الفكر العربى - ص ٩٨

(١) ابن حزم حياته وعصره - أراؤه وفقهه : محمد أبو زهرة - دار الفكر العربى - ص٩٨

(٢) تاريخ الفكر الأندلسى آنخل جنثالث بالنثيا - ص٦٥

(٣) دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطى : د.محمد عبد الله - عنان ط٢ مكتبة الخانجى سنة١٣٨٩هـ ١٩٦٩م - ص٤٣٦

(٤) البيان المغرب فى أخبار الأندلس، والمغرب: ابن عذارى المراكشى - دار الثقافة بيروت - تحقيق ومراجعة ج.س. كولان، ١ - ليفى بروفنسال - ط ٣ - سنة ١٩٨٣م - ج٢ - ص٢٩٢، ٢٩٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المساجد :

منذ عهد النبى ﷺ ويلعب المسجد فى الإسلام دورًا تعليميًا، وانتشرت بالأندلس المساجد الجامعة، وعلى رأسها مسجد قرطبة، وكان العلماء يمارسون دورهم التعليمى فى هذه المساجد، وقد تعددت المجالس التعليمية فى المسجد الواحد، فكان فى الوقت الواحد يوجد أكثر من عالم أندلسى يلقى دروسه بالمسجد[١]، وهذا يذكرنا بطريقة التدريس فى الأزهر الشريف؛ حيث كان يمارس بين جنباته العلوم المختلفة فكان كل شيخ يختص بأحد أعمدة الأزهر؛ ليلقى دروسه بجواره.

الكتاتيب :

انتشرت الكتاتيب بالأندلس، وكان الكتاب يعرف بالمكتب[٢] ومما يدل على كثرة المكاتب الأندلسية أن الحكم المستنصر (ت ٣٦٦هـ) قد أقام سبعًا وعشرون مكتبًا بقرطبة وحدها .

المكتبات :

انتشرت المكتبات العامة ، والخاصة بالأندلس ، وتسابق الأمراء فى اقتناء الكتب النفيسة ، والنادرة ، التى تدفقت على الأندلس من سائر أنحاء العالم الإسلامى[٣] ، ولعل من أشهر المكتبات الأندلسية مكتبة الحكم المستنصر (ت ٣٦٦هـ) بقرطبة ، فقد كان هذا الرجل محبًا للعلم ، فجمع من الكتب ما لا يُحَد ، ولا يوصف كثرة ، ونفاسة

---

(١) تاريخ التعليم فى الأندلس :د. محمد عبد الحميد عيسى – دار الفكر العربى ط ١ – سنة ١٩٨٢م – ص٢٧٠

(٢) المكتب عبارة عن مكان يتسع لمجموعة من الأطفال ، وقد يكون غرفة فى منزل ، أو فناء ، ولم يكن له مكان معين يقام فيه ، وإن كان عادة يقام بالقرب من المسجد أو بداخله .

(٣) دول الطوائف : د. عنان – ص ٤٣٦

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حتى قيل إن مكتبته جمعت (أربعمائة ألف مجلد ، لما نقلوها أقاموا ستة أشهر فيفى نقلها)[١] وفى رواية أخرى أنها بلغت ستمائة ألف مجلد[٢] :

وقد كان ابن حزم على معرفة ، ودراية بهذه المكتبة العظيمة فذكر (أن عدة الفهارس، التى فيها تسمية الكتب أربع ، وأربعون فهرسة ، فى كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها إلا ذكر الدواوين فقط) [٣] وكانت نتيجة هذه الحركة العلمية النشطة بالأندلس أن أصبحت قرطبة مركز العلوم ، والدراسات الممتازة ، وكانت سرقسطة ، وطليطلة ، وقبلهما قرطبة من أعظم مراكز الدراسات الفلسفية ، والرياضية فى القرن الخامس الهجرى[٤] .

والذى يطالع رسالة ابن حزم فى فضائل علماء الأندلس يجده يؤكد على اهتمام الأندلسيين بالترحال فى طلب العلم من منابعه ، وتمكن أهلها من العلوم المختلفة ؛ إذ يقول عن قرطبة مثلاً : « ... فكان أهلها من التمكن فى علوم القراءات ، والروايات ، وحفظ كثير من الفقه ، والبصر بالنحو ، والشعر ، والخبر ، والطب ، والحساب ، والنجوم ، بمكان رحب الفناء ، واسع العطن متنائى الأقطار فسيح المجال » [٥] .

وقد كان لهذا الثراء الثقافى والفكرى أثره الواضح على علماء الأندلس ، وقد ذكر ابن حزم فى رسالته السابقة عشرات المؤلفين ، والمؤلفات التى تجعل علماء الأندلس يقفون على قدم المساواة مع أعظم علماء المشرق ومما لا ريب فيه أن العامل الاقتصادى يكون مؤثراً فى حياة الشعوب والأفراد ويجدر تناوله فيما يلى :

---

(١) نفح الطيب : المقرى - ج١ - ص ١٨٤

(٢) مكتبة الحكم المستنصر الأموى بقرطبة : د. بنت الشاطئ - مقال بالأهرام ١٩٩٥/١/٥

(٣) نفح الطيب : المقرى - ج١ - ص ١٨٤

(٤) دول الطوائف : د. عنان - ص ٤٣٥ ، ٤٣٦

(٥) نفح الطيب : المقرى - ج٢ - ص ١٢٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤ – الحياة الاقتصادية :

شهدت الأندلس فى عصر ابن حزم مجموعة من التقلبات الاقتصادية بحسب مدى استقرار الأحوال السياسية الداخلية للبلاد ، ففى فترة تولية « المنصور بن أبى عامر » كوصى على الصبى « هشام المؤيَّد » شهدت الأندلس رخاءً اقتصاديًا نسبيًا نظرًا لإسقاط المنصور بعض الضرائب عن الناس[١] ، وعودته بالغنائم من الحروب التى خاضها ضد النصارى[٢] .

ولعل أفضل من صور حال الأندلس فى عهد المنصور ما قاله « ابن خاقان » من أن المنصور : « ساس الأمور أحسن سياسة ، وداس الخطوب بأحسن دياسة ، فانتظمت له الممالك ، واتضعت به المسالك ، وانتشر الأمن فى كل طريق ، واستشعر اليمن كل فريق ، وملك الأندلس بضعًا [٣] وعشرين حِجَّة لم تدحض لسعادتها حُجَّة، ولم تذكر لمكروه بها لجَّة لبست فيها البهاء والإشراق ، وتنفست عن مثل أنفاس العراق ، وكانت أيامه أحمد أيام ، وسهام بأسه أسد سهام » [٤] .

ولكن ما إن قامت الفتنة البربرية (٣٩٩ : ٤٢٢هـ) حتى أنقلبت الأحوال فوقعت الدولة ومؤسساتها موقع النهب ، والسلب ، وانتهبت العامة مدينة الزاهرة ، وما بها من الأموال والأسلحة ، والخزائن والأمتعة ، حتى اقتلعت الأبواب ، والخشب الضخم، ونفائس القصور وصارت تباع فى كل مكان [٥] .

ويجدر بنا أن نتعرف على بعض الأنشطة الاقتصادية فى الأندلس :

---

(١) البيان المغرب : ابن عذارى المراكشى – ج٢ – ص ٢٥٩

(٢) المصدر السابق – ج٢ – ص ٢٦٦

(٣) البضع هو العدد من ٣ : ٩

(٤) البيان المغرب : ابن عذارى المراكشى ج٢ ص٢٦٧

(٥) المصدر السابق ج٣ ص ٦١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الزراعـــة :

كان المجتمع الأندلسى مجتمعًا زراعيًا يعتمد على الأراضى الزراعية الواسعة ، والخصبة مما أثمر ظهور مختلف الزراعات من خضار ، وحبوب ، وأشجار مثمرة ساعد على ذلك المناخ الملائم ، ووفرة مياه الأنهار ، ونظام الرى المتطور ، وكانت بعض المدن الأندلسية كإشبيلية تسعى للاكتفاء الذاتى من المصادر الأساسية للغذاء، كالقمح ، وأنتج أهلها اللوز والرمان ، والبرقوق[١] وفى طليطلة حقق القطاع الزراعى ازدهارًا مدهشًا أمد المدينة بفائض كبير من المحاصيل الزراعية ووفر لخزينة الدولة والشعب ثروات كبيرة[٢] .

النشاط التجارى :

غلب على النشاط التجارى بالأندلس نوعين من العلاقات التجارية أحدهما خارجى ؛ حيث كان الأندلسيون يذهبون ببضائعهم إلى المغرب والمشرق ؛ لتسويقها، والعودة بمنتجات هذه البلاد ، والثانى العلاقة التجارية بين الممالك الأندلسية .

وقد أصاب هذا النشاط شيئًا من الركود فى الربع الأول من القرن الخامس الهجرى، نتيجة للتقلبات السياسية ، التى شهدتها البلاد فيما يعرف بالفتنة البربرية (٣٩٩ – ٤٢٢هـ)[٣] .

ومن أمثلة التعاون التجارى بين المدن الأندلسية أن قرطبة كان يرد إليها الجواهر، وأدوات الزينة والترف[٤] ، وكذلك التوابل والعطور التى استخدمت فى القصور ، والمنازل ، والمساجد[٥] وكان يرد إليها أيضًا المنسوجات الحريرية والكتانية ، والقطنية بالإضافة إلى الصناعات المعدنية ، والزجاجية ، والخشبية .

---

(١) الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية لدول الطوائف بالأندلس سنة ٣٩٩ : ٤٧٩ هـ / سنة ١٠٠٩: ١٠٨٦ أحمد زكى بن حاج بن أوانج – رسالة دكتوراه – جامعة القاهرة – كلية دار العلوم – قسم تاريخ – ١٤١٤هـ / سنة ١٩٩٤م ص ٨٠٣ ، ٨٠٤

(٢) المرجع السابق – ص ٨٠٥

(٣) قرطبة الإسلامية فى القرن الحادى عشر الميلادى – الخامس الهجرى الحياة الاقتصادية والاجتماعية د. محمد عبد الوهاب خلاف – الدار التونسية للنشر – سنة ١٩٨٤ – ص٩٨

(٤) المرجع السابق ص ١٠٠ ، ١٠٢

(٥) المرجع السابق : ص ١٠٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النشاط الصناعى :

تنوعت أوجه النشاط الصناعى بالأندلس بحسب تنوع ثروات البلاد ، فيقابلنا نهضة فى صناعة الحلى المصنوعة من الذهب ، والفِضة [١] ، التى كانت تمثل أهمية خاصة عند النساء ، ونتيجة لكثرة الحروب بين المسلمين والنصارى استُغِل الحديد فى صناعة الآلات الحربية[٢] ، وانتشرت صناعة عصير الزيتون بالأندلس ؛ لكثرة أشجار الزيتون بها[٣] .

واهتم أيضًا الأندلسيون بصناعة الزيوت العطرية المستخرجة من الأزهار المختلفة[٤] ، التى استفيد منها فى صناعة عسل النحل[٥] ، وانتشر بقرطبة صناعة الأدوية ، فكان العطارون ، والصيادلة يقومون بتجهيز تلك الأدوية بناء على تعليمات الأطباء الذين اتخذوا دكاكين لهم فى الشوارع والأسواق[٦] .

ولا شك أن ابن حزم قد تأثر بالتطورات الاقتصادية ، التى شهدتها الأندلس فى عصره، فقد نشأ منعَّمًا فى قصر والده الوزير فى عهد المنصور الذى تميز بالرخاء ، ثم سرعان ما تقلبت الأحوال فى قرطبة بعد الفتنة التى أشرنا إليها ، وذكر أبو محمد بن حزم أنها عمَّت الناس ، وخصت أسرته ، فتبدلت الأيام بابن حزم ، وضاعت مكاسب الآباء والأجداد ، وذهب المال والجاه ، وتغرب فى البلاد ، ويأس من الرجوع إلى موطن الأهل والولد بقرطبة[٧] .

---

(١) الأوضاع السياسية والاقتصادية : ابن حاج – ص ٨١٢

(٢) المرجع السابق – ص ٨١٢

(٣) المرجع السابق – ص ٨١٣

(٤) المرجع السابق – ص ٨١٣

(٥) قرطبة الإسلامية : د. محمد عبد الوهاب خلاف ص ١٦٤

(٦) المرجع السابق – ص ١٦٤

(٧) طوق الحمامة : ابن حزم ص ١٩٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفاة ابن حزم :

توفى الإمام ابن حزم فى آخر نهار الأحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة من الهجرة (٤٥٦ هـ) [١] ، فكان عمره إحدى وسبعين عامًا وعشرة أشهر وتسعة وعشرين يومًا [٢] .

وقد تأثر ابن حزم بظروف البيئة التى نشأ فيها ، وأثر فيها بدوره بماله من آراء، وأفكار متعددة ومتنوعة ومصنفات نعطى فكرة عنها فيما يلى :

مصنفات ابن حزم :

كتب ابن حزم مؤلفات كثيرة فى عديد من فروع العلم ، فكان له مصنفات فى الحديث ، والفقه وأصول الفقه ، والتاريخ ، والسيرة ، والأخلاق ، ونظرًا لأن كثيرًا من الدراسات السابقة قد اهتمت بحصر مؤلفات ابن حزم ، فإننى سأقتصر فى هذه الدراسة على مصنفات ابن حزم فى مقارنة الأديان ، مع الإشارة إلى بعض مؤلفات ابن حزم ، التى قد تكون غير مشهورة . وقد أفرد ابن حزم مصنفات قائمة بذاتها فى الملل والنحل ، كما ذكر فى ثنايا كتبه آراءً فى مقارنة الأديان ، ولذلك فإن الباحث فى هذا الصدد يجب ألا يُغفل تلك المصنفات ، وفى تناولى لمصنفات ابن حزم فى الجدل الدينى سأبدأ بالمؤلفات التى تيسر لى الاطلاع عليها ، مع الإشارة إلى ما ذكرته المصادر فى هذا المجال ، ولم أعثر عليه :

١ - الفصل فى الملل ، والأهواء ، والنحل :

يعتبر هذا الكتاب موسوعة علمية فى دراسة الملل ، والنحل ، ويتميز بشموليته ، ودقة معلوماته ، وأهميته بوصفه مصدر تأريخى للأديان ومقارناتها ، ويعتبر هذا السفر من أشهر مؤلفات ابن حزم ، ونال إعجاب الشرق ، والغرب ، ونستعرض لآراء بعض العلماء فيه بعد استعراض محتوياته :

---

(١) وفيات الأعيان : ابن خلكان ص ٣٢٥

(٢) الصلة : ابن بشكوال - قسم ٢ - ج٧ - ص ٤١٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جاء الكتاب فى خمسة أجزاء على النحو التالى :

الجزء الأول : وقسمه ابن حزم إلى أربعة أقسام هى :

القسم الأول : تحدث فيه عن السوفسطائية .

القسم الثانى : القائلون أن العالم لم يزل ، ولا مدبر له .

وذكر ابن حزم خمسة اعتراضات لأصحاب هذا القول ، وأبطلها ، ثم ذكر خمسة براهين على إثبات حدوث العالم ، وأدلة أخرى تعضد هذه البراهين .

القسم الثالث : الكلام على من قال بأن للعالم خالقًا لم يزل ، وأن له فاعلاً لم يزل وأن النفس والمكان المطلق الذى هو الخلاء ، والزمان المطلق الذى هو المدة لم تزل موجودة ، وأنها غير محدثة ، وتحدث عن من يرى بتعدد فاعل العالم ، ومدبره ، وأنه أكثر من واحد ، وتكلم عن النصارى مستعرضًا فرقهم ، وعقائدهم المختلفة ، ثم نقدها ، ثم ناقش ابن حزم البراهمة ، وأبطل رأيهم فى النبوات ، وغير ذلك من العقائد الضالة كأصحاب تناسخ الأرواح ثم أفرد ابن حزم معظم هذا الجزء فى الحديث عن اليهودية ، والنصرانية ناقدًا عقائدهم ، وتاريخهم ، وقصصهم الدينى مبينًا التطورات التاريخية ، التى أدت إلى تحريف كتبهم التى يقدسونها مما سنبينه فى هذا الكتاب .

وقد اهتم ابن حزم فى الجزء الثانى من الكتاب بالحديث عما تحتويه أناجيل النصارى، وكشف تناقضها ، ثم ذكر فصولاً يعترض بها الملحدون على المسلمين ، وناقش إدعاء اليهود ، والنصارى فى تقدير بداية الخلق ، وتحديد عمر الدنيا ، ورأى ابن حزم أن لخلق الدنيا أمدًا لا يعلمه إلا الله تعالى ؛ إذ قال تعالى : ﴿ مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾ [1] وأخيرًا بين ابن حزم فى هذا الجزء

(١) سورة الكهف ، آية ٥١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رأيه فى بعض الصفات الإلهية ، كالعلم ، والسمع ، والبصر ، والقدم والحياة ، والاستواء فرأى أن استواء الله تعالى على العرض : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾[1] بمعنى انتهاء خلقه تعالى بخلق العرش ، فليس بعد العرش شىء[2] .

وقد تنوعت موضوعات الجزء الثالث فتكلم عن رؤية الله – عز وجل – وكلامه ، وإعجاز القرآن والقدر ، والاستطاعة ، وناقش المرجئة ، وتحدث عن الكفر ، والذنب ، وهل تعصى الملائكة الله عز وجل ؟ وغير ذلك من المسائل العقائدية .

أما الجزء الرابع فتحدث فيه ابن حزم عن أخلاق الأنبياء ، وقد ذهب إلى أنه لا يجوز أن يقع من نبى معصية ، صغيرة ولا كبيرة[3] ، كذلك تناول ابن حزم فى هذا الجزء الوعد والوعيد ، والأمور السمعية كالشفاعة ، والميزان ، وعذاب القبر ، وغيرها .

وفى الجزء الخامس تناول ابن حزم مواضيع مختلفة معظمها يتعلق بالفرق الإسلامية، وآراء كل فرقة فى المسائل العقائدية كفرقة الشيعة ، والخوارج ، والمعتزلة، والمرجئة ، وتناول نبوة النساء ، وذهب إلى جواز نبوتهن ؛ لورود الآثار التى تدل على أنهن أوحى إليهن ، فمثلاً بشرت أم إسحاق بإسحاق؛ إذ قال تعالى: ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾[4] . وأم موسى أوحى إليها بإلقاء ابنها فى اليم ، ولو لم يكن هذا الوحى ملكًا لما أقدمت على ذلك ، فمثلها مثل إبراهيم – عليه السلام – حين أمر بذبح ابنه .

---

(١) سورة طه ، آية ٥

(٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم تحقيق محمد إبراهيم نصر – عبد الرحمن عميرة دار الجيل بيروت جـ٢ ص ٢٩٠

(٣) المصدر السابق جـ٤ ص ٦

(٤) سورة هود ، آية ٧١ : ٧٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد أشاد العلماء الذين قرأوا كتاب الفصل بهذا الكتاب ، فقال عنه دى لابوليه : « إن كتاب الفصل فى الملل والأهواء والنحل يشهد بسعة اطلاع مؤلفه ابن حزم ؛ إذ أفرد فيه حيزًا كبيرًا للمسيحية وفرقها أورد فيه ملخصًا عن نشأة كل فرقة ، ومدى انتشارها ... إن هذه البيانات على إيجازها تعد بالغة الدقة » [١] .

ويقول أيضًا : « إن المسائل التى عالجها فيما بعد أحبار المسيحية سبق أن بحثها ابن حزم ، وناقشها فى كتاب الفصل » [٢] ويذكر المستشرق مرجليوث [٣] أن دراسات ابن حزم للتوراة أدت إلى السبق فى إيراد بعض الاعتراضات ، التى أدلى بها النقاد الحديثون .

٢ - الرد على ابن النغريلّة اليهودى :

وقد حقق هذا الكتاب الدكتور إحسان عباس ونشرته مكتبة دار العروبة بالقاهرة: سنة ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م . وقد ظن إحسان عباس أن ابن حزم يرد فى هذا الكتاب على يوسف بن إسماعيل ابن النغريلّة[٤] ، وليس على إسماعيل الأب رغم إشارة المصادر إليه كما سنبين ، ويحتج لذلك بالأدلة الآتية :

أ) يستبعد الدكتور إحسان أن يكون إسماعيل الأب هو مؤلف كتاب فى تناقض القرآن ؛ لأن المصادر كلها تجمع على أنه كان بعيد النظر حسن المداراة لا

---

(١) مقدمة الفصل ، ص ٢١

(٢) مقدمة الفصل ، ص ٢١

(٣) مرجليوت - ١٨٥٨/ ١٩٤٠م ، ولد وتوفى فى لندن وقد تخرج باللغات الشرقية من جامعة أكسفورد وأتقن العربية وأقام أستاذًا لها فى جامعة أكسفورد منذ ١٨٩٩م ، ورأس تحرير مجلة الجمعية الملكية الأسيوية فيها ، وكان لآرائه قدرها لدى الأدباء العرب المعاصرين ومنهم من رد عليه قوله بوضع الشعر الجاهلى . وانتخب عضو فى المجمع العلمى العربى بدمشق . ومن آثاره : مختارات شعرية لأرسطو مترجمة بالعربية . ورسائل المعرى متنًا وترجمة ، محمد ونهضة الإسلام ... إلخ .

(٤) الرد على ابن النغريلة اليهودى لابن حزم تحقيق إحسان عباس مكتبة دار العروبة سنة ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م ، ص ١٧ ، ١٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يتورط فيها يوغر عليه الصدور ، وهذه صفات عرى منها ابنه يوسف[١] ، ومن ثم يرى الدكتور إحسان أن ما ورد فى المصادر من نصوص تدل على أن إسماعيل هو الذى ألفَّ فى الطعن على ملّة الإسلام يجب أن ينصرف إلى يوسف الابن ، وليس إسماعيل الأب[٢] .

ب) صفات مؤلف الكتاب ، الذى رد عليه ابن حزم ، وكذلك صفات عصره من حيث ضعف الملك تدل على أن الكاتب هو يوسف بن إسماعيل بن النغريلّة[٣] ، ويصل الدكتور إحسان عباس إلى نتيجة مؤداها أن يوسف صنَّف كتابه ، الذى رد عليه ابن حزم بين عامى ٤٥٦هـ : ٤٥٩هـ ؛ ومن ثم فرد ابن حزم كان فى عام ٤٥٩هـ أو قبله[٤] .

والحقيقة أن هذا الرأى غير مؤكد ، ومن دراستى لهذا المصنف أستطيع أن أرجح أن إسماعيل الأب هو مؤلف هذا الكتاب ، الذى رد عليه ابن حزم ، وذلك للأسباب التالية :

أ) ليس هناك إجماع بين المصادر - كما ظن الدكتور إحسان - على أنْ إسماعيل كان حسن المداراة لا يتورط فيما يوغر عليه الصدور فقد ورد بـ (المُغرِب فى حلى المَغرِب) أن إسماعيل بن النغريلّة استهزأ بالمسلمين ، وأقسم أن ينظم القرآن كله فى أشعار ، فثار عليه المسلمون وقتلوه[٥] ، وإن كنت أرى أن إسماعيل بن النغريلة لم يقتل ؛ لأن جل المصادر أشارت إلى أنه مات دون الإشارة إلى مقتله ، وإنما أشارت إلى مقتل يوسف الابن .

---

(١) الرد على ابن النغريلة اليهودى لابن حزم ص ١٨ .
(٢) المصدر السابق نفس الصفحة
(٣) المصدر السابق نفس الصفحة
(٤) المصدر السابق نفس الصفحة
(٥) المغرب فى حلى المغرب : ابن سعيد جـ٢ ص١١٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ب) اتسم أيضًا يوسف بن إسماعيل بن النغريلَّة بالذكاء ، حتى إن باديس بن حبوس[1] حين رفض توليته الوزارة خلفًا لأبيه ؛ لصغر سنه استطاع يوسف عن طريق التقرب إلى السلطان ، ونصحه أن يحظى بمكانة رفيعة لديه[2] حتى خلف أبيه فى الوزارة .

جـ) صفات العصر كله (عصر ملوك الطوائف) كانت الممالك الإسلامية تتسم فيه بالضعف وهو ما ينطبق على عصر باديس بن حبوس الذى عاصره كلاً من إسماعيل بن النغريلَّة ، ويوسف ابنه ، فلا أدرى على أى أساس جعل الدكتور إحسان عباس كلام ابن حزم عن ضعف الملك يتجه إلى عصر يوسف وليس إسماعيل الأب ، وكلاهما عاصر ملكًا واحدًا ويكاد أن يكونا عاشا فى عصر واحد .

د) النتيجة التى وصل إليها الدكتور إحسان عباس من أن يوسف بن النغريلَّة قد صنف كتابه الذى رد عليه ابن حزم بين عامى ٤٥٦ إلى ٤٥٩هـ ؛ ومن ثم فإن رسالة ابن حزم ألفت قبل عام ٤٥٩هـ أو فى هذا العام غير مقبولة إطلاقًا ؛ لأن ابن حزم توفى آخر نهار الأحد لليلتين بقيتا من شعبان عام ٤٥٦هـ ، ومن ثم لا يمكن أن يكون ابن النغريلَّة يوسف قد كتب كتابه بعد هذا التاريخ ، وإلا كيف يرد عليه ابن حزم بعد هذا التاريخ ، والمفترض أنه يكون قد مات ؟ ! .

وأرى أن كتاب ابن النغريلَّة كتب قبل وفاة ابن حزم بفترة غير وجيزة حتى يشتهر أمر الكتاب ، ويصل خبره إلى أبى محمد بن حزم ، ويستطيع أن يتعرف على محتواه من خلال رد أحد المسلمين على هذا الكتاب ، ثم يشرع ابن حزم فى الرد على ابن النغريلَّة .

---

(١) اختلف فى تاريخ وفاته فقيل إنه توفى ٤٦٥هـ أو ٤٦٩هـ وتولى إمارة غرناطة خلفًا لأبيه « حبوس » سنة ٤٣٠هـ .

(٢) مذكرات الأمير عبد الله بن بُلُقِّين آخر ملوك بنى زيرى بغرناطة (٤٦٩/٤٨٣هـ) المسماه بكتاب التبيان تحقيق أ/ليفى بروفنسان دار المعارف بمصر ص ٣٠٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما أدلتنا التى ترجح أن إسماعيل بن النغريلَّة هو الذى رد عليه ابن حزم فيتمثل فيما يلى :

أ) ما ورد فى سِيَر النبلاء المنشور بمجلة المجمع العلمى العربى بدمشق (ج١٠ ص٥٣٥) أن ابن حزم قد ألف كتاب (الرد على إسماعيل اليهودى الذى ألف فى تناقض آيات) ونجد نفس هذا الكلام بسِيَر أعلام النبلاء للذهبى ج١٨ ص١٩٦ . وهذا دليل قاطع فى المسألة لم يرد ما ينفيه .

ب) أشار ابن حزم فى (الفصل فى الملل ، والأهواء ، والنحل) إلى إسماعيل بن النغريلَّة وإلى اختلافهما الجدلى حول بعض نصوص التوراة[١] ، ووصفه بأنه أعلم اليهود ، وأكثرهم قدرة على الجدل ، وحدد تاريخ أحد هذه اللقاءات فى سنة ٤٠٤هـ[٢] ، كما أشار ابن حزم فى (الرد على ابن النغريلَّة) إلى معرفته السابقة بهذا اليهودى وهاجمه ؛ إذ قال عنه : « ولعمرى إن اعتراضه ، الذى يعترض به ، ليدل على ضيق باعه فى العلم ، وقلة اتساعه فى الفهم على ما عهدناه عليه قديمًا » [٣] .

ولا يمكن أن يكون هذا الكلام عن يوسف الابن ، وإنما ينصرف لإسماعيل الأب ، كما أننا لا نعرف سابق صلة لابن حزم بيوسف الابن ، وهو ما يؤكده الدكتور إحسان عباس[٤] .

جـ) إذا كان ابن حزم على علاقة بإسماعيل بن النغريلَّة ، والمصادر تشير إلى أن يوسف كان صغيرًا ، أو صبيًا حين مات أبوه إسماعيل ، ومن ثم فإنه أثناء اتصال ابن حزم بإسماعيل الأب ، فإن يوسف الابن كان ما زال صغيرًا[٥] ،

---

(١) الفصل لابن حزم جـ ١ ، ص ٢٢٥ ، ٢٤٥

(٢) المصدر السابق جـ ١ ، ص ٢٤٥

(٣) الرد إلى ابن النغريلة ص ٤٧

(٤) المصدر السابق ، ص ١٧

(٥) وربما كان يوسف بن النغريلة رضيعًا ، أو لم يولد أثناء اتصال ابن حزم بإسماعيل بن النغريلة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بحيث إن وصف ابن حزم للسمات الشخصية التى يتصف بها مؤلف كتاب فى تناقض آيات القرآن لا يمكن أن يوصف بها صبى أو طفل صغير؛ لأنه من الطبيعى أن يكون فى هذا السن ضعيف فى العلم ، محدود فى الفهم .

٣ - إظهار تبديل اليهود ، والنصارى للكتابين التوراة ، والإنجيل[١] :

وتشير دائرة المعارف الإسلامية[٢] إلى أن النسخة المطبوعة من (الفصل فى الملل، والأهواء، والنحل) طبع القاهرة ١٣١٧هـ - ١٣٢١هـ من الجزء الأول ص١١٦ إلى الجزء الثانى ص ٩١ هى عين كتاب (إظهار تبديل اليهود ، والنصارى للتوراة والإنجيل ، وبيان تناقض ما بأيديهم مما لا يحتمل التأويل) .

وعلى هذا يكون هذا المصنف جزءًا من كتاب (الفصل فى الملل والأهواء والنحل) .

وتشير دائرة معارف البستانى[٣] إلى أن نقد ابن حزم لليهودية والنصرانية فى كتاب الفصل قد يكون فى أصله كتاب برأسه عنوانه (كتاب إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة ، والإنجيل ، وبيان تناقض ما بأيديهم مما لا يحتمل التأويل) .

٤ - الأصول والفروع :

وقد صدرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب سنة ١٩٧٨م - دار النهضة العربية بالقاهرة، وقد تعرض ابن حزم فى هذا الكتاب لدراسة بعض الملل ونقدها ، وقد جاء

---

(١) سير النبلاء : الذهبى - شمس الدين أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م) المنشور بمجلة المجمع العلمى العربى بدمشق سنة ١٩٤١م ، شوال ١٣٠٠هـ جـ١٠ ص ٤٣٩، تذكرة الحفاظ للذهبى - م٣ - ص٣٤١ ، سير أعلام النبلاء للذهبى تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسى - ط١ سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م - مؤسسة الرسالة ص ٢٠١

(٢) دائرة المعارف الإسلامية - ترجمة محمد ثابت الفندى وإبراهيم زكى خورشيد وأحمد الشنتناوى - المجلد الأول ص ١٤٠

(٣) دائرة المعارف قاموس عام لكل فن ومطلب بإدارة فؤاد أفرام البستانى رئيس الجامعة اللبنانية - المجلد الثانى بيروت ١٩٥٨م ص ٤٤٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكتاب فى جزأين . وقد قام الدكتور إبراهيم إبراهيم هلال بتحقيق جزء من هذا الكتاب يبدأ من الباب الأول (باب فى صفة الإيمان والإسلام) إلى باب (فصول تعترض بها جهلة الملحدين على ضعف[1] المسلمين) وقام الدكتور محمد عاطف العراقى بتحقيق الأبواب من (باب فصول تعترض بها جهلة الملحدين على ضعف المسلمين) إلى باب (الكلام على من قال بقدم العالم ؛ وأنه لا مدبر له) .

وأخيراً قامت أستاذتنا الدكتورة سهير فضل الله أبو وافية بالتحقيق من أول (باب: الكلام على من قال بقدم العالم وأنه لا مدبر له) حتى آخر الكتاب بالإضافة إلى أنها صاحبة الفضل والمشورة فى إخراج هذا الكتاب ، ووضعت المقدمة التى ترجمة لابن حزم ثم دراسة عن ابن حزم كرائد لعلم مقارنة الأديان COMPARATIVE RELIGION ، والجدير بالذكر أن بعضاً من الموضوعات والمقالات التى كتبها ابن حزم فى (الفصل فى الملل والأهواء والنحل) قد وردت بكتاب (الأصول والفروع) وسيتضح ذلك فى ثنايا هذه الرسالة .

أما مصنفات ابن حزم فى الجدل الدينى التى ذكرتها المصادر، ولم أعثر عليها فتتمثل فى :

٥ - تأليف فى الرد على أناجيل النصارى [2] :

نسب شمس الدين الذهبى هذا الكتاب إلى ابن حزم ، ولم أعثر عليه مطبوعاً، أو مخطوطاً ، وكذلك لم يوفق أحد من الباحثين ، الذين قرأت لهم وتعرضوا لمصنفات ابن حزم فى العثور عليه .

تلك أهم مصنفات ابن حزم التى تعرض فيها لمقارنة الأديان ، والحديث عن الملل والنحل المختلفة ، ودافع فيها عن الإسلام ضد من هاجمه من أصحاب الديانات الأخرى خاصة اليهودية والنصرانية .

---

(١) لعلها ضعاف المسلمين

(٢) سير أعلام النبلاء : الذهبى - ج١٨ - ص ١٩٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهناك مجموعة من المصنفات قد تكون غير مشتهرة النسبة لابن حزم ومن ثم يجدر الإشارة إليها :

٦ - أسواق العرب :

أشار بروكلمان[١] إلى هذا المصنف ، وأنه موجود فى حميد الله نصوص لدبلومسية إسلامية فى عصر النبى والخلفاء الراشدين سنة ١٩٣٥ .

٧ - منظومة فى قواعد فقه الظاهرية [٢] :

وهى قصيدة لابن حزم جاء فى مطلعها :

تعدّى سبيل الرشد من جار واعتدى وضاء له نور الهدى فتبلدا
وخاب امرؤٌ وافاه حكم مُحمَّدٍ فقال بآراء الرجال وقلدا

بعد استعراضنا لمصنفات ابن حزم الجدلية ، والتى ناقش فيها اليهود والنصارى، فإنه من الجدير بالدراسة التعرف على أهم سمات اسلوبه الجدلى .

سمات أسلوب ابن حزم الجدلى :

إذا كان الأسلوب يعبر عن شخصية صاحبه ، فقد جاء أسلوب ابن حزم فى التأليف والكتابة معبراً عن نفسيته وفكره ، وكلاهما واضح مشرق[٣] ، فكان يحتسب ويحوقل[٤] ويستعيذ بالله إذا لم يعجبه رأى أو دليل ، ويطلب من الله تعالى

---

(1) Gal. T. S. 695. U.

(٢) ذكر الأستاذ محمد إبراهيم الكتانى أنه عثر على هذه المنظومة فى آخر المجلدات الثانى من كتاب (الإحكام فى أصول الأحكام) الموجود ضمن مخطوطات مكتبة ابن يوسف بمدينة مراكش تحت رقم ٥٢ – ص ٤٥٨ : ٤٦٢ . ونشرها بمجلة معهد المخطوطات العربية – المجلد ٢١ – ج١ – سنة ١٣٩٥هـ / سنة ١٩٧٥م .

(٣) ابن حزم حياته وعصره – آراؤه وفقهه : الإمام محمد أبو زهرة – دار الفكر العربى – ص١٩٧

(٤) يقول لا حول ولا قوة إلا بالله

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التأييد والتوفيق والعصمة من الذلل فى الرد على مخالفيه ، ومن أهم سمات أسلوب ابن حزم فى الجدل ما يأتى :

١ - الوضوح :

اتسم أسلوب ابن حزم الجدلى بالجلاء ، والوضوح ، وعدم التكلف ، ومحاولة الوصول إلى الصواب بأسهل الطرق وأقرب الأمثلة . ويرجع ذلك إلى ما سنبينه من أن ابن حزم كان يكره الغموض فى الكلام ، والتعمية ، ويرى ذلك من وسائل التمويه، والشغب ؛ لكى يظن الشامع أن هذا الكلام مملوء حكمة ، وهو عار من ذلك تمامًا .

٢ - الإطناب :

كثيرًا ما كان ابن حزم يسترسل فى ردوده على مخالفيه ، ويعاود تناول موضوعًا فى أكثر من مكان ، ويكرر حججه ، ويرجع ذلك إلى محاولة ابن حزم التأكيد على صحة آرائه ، والثبات على موقفه ، وحصره لموضوعات الخلاف ، وقدرته على تجزئتها ، وتحليلها والذى نراه أن هذا الإطناب الجدلى مما يحسب لابن حزم؛ لأنه كان لا يُدخِل فى موضوعات الجدل ما ليس منها ، وكان يكرر أقواله حيثما احتاج الموقف لذلك .

٣ - الحدة والعنف :

كان ابن حزم شديد اللهجة فى جدله مع أهل الكتاب ، وسنوضح أسباب هذه الحدة الحزمية فى الفصل الثالث وإن كنا نشير إلى الجفوة التى كانت بينه وبين علماء عصره ، والتى أدت إلى عنف تعبيراته ، وقسوة ردوده على مخالفيه .

٤ - السخرية :

تظهر هذه السمة جلية فى ردود ابن حزم على أهل الكتاب ، فقد أضاف أبو محمد لنقده اللاذع لليهود النصارى سخرية عميقة تصل إلى درجة الاستهزاء والسب ، ومن ثم لا أتفق مع ما ذهب إليه الإمام أبو زهرة من أن شكل المناقشة من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حيث التعبير كان واحداً تقريباً عند ابن حزم أثناء جدله مع علماء المسلمين ، وغير المسلمين[١] ، فالذى أراه أن حدة ابن حزم كانت أعنف ، وسخريته أوضح ، وأعمق أثناء جدله مع علماء الملل غير الإسلامية .

ومن الأمثلة الدالة على سخرية أسلوب ابن حزم فى جدله مع أهل الكتاب ما جاء فى رده على اليهودى ، حين أثبت له أن مدة استعباد اليهود أقل من أربعمائة سنة بسنين طويلة ، فاعتذر اليهودى بأن الأربعمائة سنة تحسب من وقت مخاطبة الله تعالى لإبراهيم – عليه السلام – عن هذا الاستعباد ، فاستشنع أبو محمد كلام هذا اليهودى ، وعلَّق قائلاً : (فأراد هذا الساقط الخروج من مزبلة ، فوقع فى كنيف عذره؛ لأنه جاهر بالباطل ، وتعجل الفضيحة ، ونسب الكذب إلى الله تعالى ...) [٢] .

وأثبت ابن حزم بما لا يدع مجالاً للشك أنه لو حسبنا هذه المدة – حسب زعم اليهودى فلن تكون مساوية للأربعمائة عام .

ويسخر ابن حزم الأندلسى من طلب اليهود مأكولات معينة فيقول : (وذكروا شوقهم إلى القرع ، والقثاء ، والبصل ، والكرات ، والثوم ، الذى تشبه رائحته فى الروائح عقولهم فى العقول) [٣] .

وتزداد حدة السخرية فى قول ابن حزم عن النصارى : (وتالله لولا أننا شاهدنا النصارى ما صدقنا أن من يلعب بعذرة ، وما يخرج من أسفله يصدق بشيءٍ من هذا الحمق) [٤] .

بعد هذه الإلمامة المجملة بابن حزم الأندلسى اجتماعيًا، وفكريًا وعلميًا ، فإنه يجدر بنا أن نتعرف على الشخصية الثانية ، التى نتعرض لجهودها الجدلية مع أهل الكتاب، وهى شخصية أحمد بن عبد الصمد الخزرجى أو ابن أبى عبيدة الخزرجى.

---

(١) ابن حزم حياته وعصره آراؤه وفقهه : الشيخ أبو زهرة – ص ١٨٦

(٢) الفصل : ابن حزم ج١ ص ٢١٦

(٣) المصدر السابق – ج١ – ص ٢٧٧ ، ٢٧٨

(٤) المصدر السابق – ج٢ – ص ٨٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثانيًا : ابن أبى عبيدة الخزرجى

أشارت كتاب التراجم[1] لابن أبى عبيدة الخزرجى إشارات سريعة دون تفصيل، والسمة العامة لهذه المصادر هى ندرة المعلومات الواردة عنه ، وتكرارها ، وقد استطعت اعتمادًا على تلك المصادر القديمة أن أصل إلى معلومات لا بأس بها عن سيرة هذا العالم الجليل ، ومصنفاته ، وسأبدأ بالحديث عن سيرته ؛ لتوضيح أثر بيئته الخاصة والعامة على نشأته ، وتكوينه العلمى قدر الإمكان .

● سيرة ابن أبى عبيدة الخزرجى :

(أ) اسمه :

أحمد بن عبد الصمد بن أبى عبيدة محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الحق الخزرجى .

---

(١) ١ – معجم المؤلفين (تراجم مصنفى الكتب العربية لعمر رضا كحالة) المكتبة العربية بدمشق سنة ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م جـ١ ص ٢٧٤

٢ – سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس من العلماء والصلحاء بفاس لمحمد بن جعفر بن إدريس الكتانى جـ٣ ص ٢٤٢

٣ – تعريف الخلف برجال السلف لأبى القاسم محمد الحفناوى ابن الشيخ أبى القاسم العربى بن سيدى إبراهيم الغول سنة ١٣٣٤هـ/ ١٩٠٦م . طبع بمطبعة بيير فونتانة الشرقية بالجزائر ص ٦١

٤ – نيل الإبتهاج بتطريز الديباج لأبى العباس سيدى أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقنت عرف بابا التنبكتى ط١ سنة ١٣٢٩هـ مطبعة السعادة ص٥٠

٥ – الديباج : (مطبوعة بهامشه نيل الإبتهاج) .

٦ – جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس : لابن القاضى أحمد بن محمد بن محمد بن أبى العافية الشهير بابن القاضى ص ٧٠

٧ – الوافى بالوفيات للصفدى صلاح الدين بن خليل بن أيبك ط٢ جـ ٧ بإعتناء إحسان عباس يطلب من دار النشر فراتز شتاينز بقيسبان سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ص ٦٦

٨ – الإعلام لخير الدين الزركلى دار العلم للملايين ط٧ آيار (مايو) ١٩٨٦م جـ١ ص ١٥٠ بيروت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٢) كنيته :

يكنى بأبى جعفر[١] .

(٣) نسبه :

لابن أبى عبيدة نسب عرقى ؛ فيقال أحمد بن عبد الصمد بن أبى عبيدة الأنصارى الخزرجى، وينتهى نسبه إلى سعد بن عبادة[٢] صاحب رسول الله- ﷺ- ويقال أحمد بن عبد الصمد بالبجائى[٣] نسبة إلى مدينة بجاية ، التى نزل بها ، ثم سكن غرناطة ، ويقال أيضًا القرطبى[٤] نسبة إلى قرطبة ، التى عاش بها صدر حياته .

(٤) جنسيته :

يعد ابن أبى عبيدة الخزرجى عربى الأصل فهو يرجع بنسبه إلى قبيلة الخزرج بالمدينة المنورة .

(٥) مولده :

اتفقت المصادر ، التى ترجمت لابن أبى عبيدة الخزرجى أنه ولد عام (٥١٩هـ)[٥] .

(٦) نشأته وأسرته :

نشأ أحمد بن عبد الصمد نشأة علمية ، ورغم أن المصادر ، التى اطلعنا عليها لم تحدثنا عن طفولته كثيراً ، فإنه يمكننا أن نستخلص أنه حرص على تحصيل العلم

---

(١) تعريف الخلف للحفناوى ص٦١ – الإعلام للزركلى ص ١٥٠ – معجم المؤلفين لكحالة ص٢٧٤ – الوافى بالوفيات للصفدى ص ٦٦

(٢) سعد بن عبادة بن دُليم بن حارثة بن أبى خذيمة ، وقيل : حارثة بن حزام بن خذيمة يكنى أبى ثابت وكان نقيب بنى ساعدة قيل مات سنة أحد عشرة ، وقيل أربع عشرة .

(٣) تعريف الخلف للحفناوى ص ٦١

(٤) تعريف الابتهاج بهامش الديباج ص ٦٩

(٥) انظر المصادر السابقة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منذ صغره؛ حيث تتلمذ على يد القاضى أبى بكر بن العربى، الذى كان يرى أن ينشأ الطفل على تعلم العربية ، ومطالع الكلام ، ويحفظ أشعار العرب ، وأمثالها[١] ثم ينتقل الطفل إلى تعلم الحساب ؛ لأن للحساب فائدة نظرية تتمثل فى شحذ الذهن ، والتمرين على الفهم ، وأخرى عملية ترجع إلى منفعته الأحكام الفقهية فى قسمة التركات ، والمساحات ، وما إليها فى مسائل الحياة العملية[٢] .

وكانت أسرة أحمد عبد الصمد أسرة عريقة فى الإسلام ، فقد ذكرنا أن نسبه ينتهى إلى سعد بن عبادة الخزرجى ، ونحن نعرف ما كان للأوس والخزرج (الأنصار) من دور فى نصرة الإسلام ، وأنهم هم الذين استقبلوا الرسول ﷺ بعد هجرته من مكة إلى المدينة .

وكان سعد بن عبادة مشهوراً بالجود ، والكرم ، وحمل راية رسول الله فى يوم فتح مكة ودعا رسول الله ﷺ لآل سعد بن عبادة بالصلاة والرحمة[٣] .

وقد استجاب الله تعالى لنبيه الكريم ، فتحدثنا كتب التاريخ ، والتراجم عن المكانة التى تبوأتها أسرة أحمد بن عبد الصمد فى التاريخ الأندلسى ، فذكر ابن القوطية (ت ٣٦٧هـ)[٤] فى تاريخ افتتاح الأندلس أن عبد الرحمن بن معاوية الخليفة الأموى ولّى رجلاً من ولد سعد بن عبادة بن طليطلة ؛ حيث كان ساكنًا بها[٥] وهذا يدل على

---

(١) تاريخ التعليم فى الأندلس لمحمد عبد الحميد عيسى دار الفكر العربى ط١ سنة ١٩٨٢ ص ٢٣٩

(٢) المرجع السابق ص ٢٣٩

(٣) أسد الغابة فى معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير أبى الحسن على بن محمد الجزرى (٥٥٥ : ٦٣٠هـ) تحقيق وتعليق محمد إبراهيم البنا ، ومحمد أحمد عاشور ، محمود عبد الوهاب فايد – مجلد ٢ دار الشعب ص ٣٥٦ شخصية رقم ٢٠١٢

(٤) ابن القوطية أبو بكر محمد بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم الأندلسى القرطبى المولد والوفاة وعرف بابن القوطية نسبة إلى سارة بنت المند بن غيطشة من ملوك القوط قبل الفتح الإسلامى (ت ٧٠٩، ٧١٠م) وكان ابن القوطية أديبًا عالمًا باللغة والنحو حافظًا للحديث ومن مؤلفاته (تصاريف الأفعال) .

(٥) تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية تحقيق إبراهيم الأبيارى ، الناشرون : دار الكتب الإسلامية، ودار الكتاب المصرى ، ودار الكتاب البنانى بيروت ط١ – سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ص٢٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عراقة أسرة ابن عبد الصمد ، وقدم وجودهم فى الأندلس ودورهم المؤثر فى الحياة السياسية ، حتى أنه حينما أراد عبد الرحمن بن معاوية قصد الشام للثأر من العباسيين كان ممن عصى عليه رجل يدعى الحسين بن يحيى بن سعيد بن سعد بن عبادة بسرقسطة مما أجبر عبد الرحمن بن معاوية بالتراجع عن موقفه[١] ، كما أننا نجد من بين أقارب الخزرجى من أشتغل بالعلم ، وجد فى طلبه، وتعليمه، كأحمد بن عبد الرحمن بن عبد الحق الخزرجى المقرئ (ت ٥١١هـ) [٢] .

وطريقة الإقراء من أشهر طرق تعليم الصبيان فى الأندلس ؛ حيث كان يمسك المعلم كتابًا ويقرأ منه ويقوم الطلبة بكتابة نسخهم ، أو أن يقوم طالب من المجموعة بالقراءة فى حضرة الأستاذ ، ويقوم الطلبة الآخرون بالكتابة ، ويعمل على تصحيح القراءة ، وتقديم النطق السليم ، والمواضع الصحيحة للوقف والابتداء[٣] .

ومن أسرة الخزرجى أيضًا عبد الحق بن محمد بن عبد الحق بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الحق الخزرجى (ت ٦٠٤هـ) من عظماء أهل قرطبة ، وعلمائها الأفذاذ[٤] .

وهكذا نرى أن الخزرجى قد نشأ فى أسرة حريصة على طلب العلم والتفقه فى الدين فكان لذلك أثره الواضح عليه .

---

(١) نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب تحقيق أحمد كمال زكى مراجعة محمد مصطفى زيادة – الهيئة المصرية العامة للكتاب – سنة ١٩٨٠م ، ج٢٣– ص٣٤٨

(٢) الصلة لابن بشكوال جـ ١ ص ٢٢٥

(٣) تاريخ التعليم فى الأندلس : د. محمد عبد الحميد عيسى ص٣٤٧

(٤) انظر كتاب صلة الصلة وهو ذيل للصلة البشكوالية لأبى جعفر أحمد بن الزبير تصحيح وتعليق أ. ليفى بروفنسال (مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية القسم الأخير جـ٧ ص١١ شخصية رقم ١٥).
ويعتبر هذا الرجل معاصرًا لأحمد بن عبد الصمد حيث ولد فى منتصف عام ٥٢٢هـ واشترك معه فى التلمذة على يد أبى الحسن عبد الرحيم بن قاسم الحجارى وما ورد بصلة الصلة عن تلمذة هذا العالم على يد أبيه أبى عبد الله وابن عمه أبى زيد عبد الرحيم بن أحمد بن عبد الحق يدل على مدى اهتمام هذه الأسرة بالعلم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٧) أساتذته :

تنوع أساتذة الخزرجى يدل على تنوع معارفه العلمية ، وموسوعيته الفكرية ، ومن أساتذة الخزرجى الذين تلقى على أيديهم العلم :

ابن أبى الخصال :

أبو عبد الله محمد بن مسعود بن خالصة بن فرج بن أبى الخصال الغافقى وهو وإن كان خامل النشأة ، فقد وصف بأنه حامل لواء النباهة ، الباهر بالرواية والبداهة، فتميز بنفسه وعلمه[١] فقد كان متنوع المعارف، فأتقن علم الحديث بغريبه ، ورجاله ، وإتقان ضبطه ، وتمكن من اللغة العربية ، والأدب ، وكتب شعراً[٢] ؛ فكان إماماً فى الكتابة ، والنظم ، عالمًا بالنسب والتاريخ[٣] .

قتل ابن أبى الخصال فى الثالث عشر من ذى الحجة عام أربعين وخمسمائة من الهجرة حين دخل النصارى قرطبة ، فحزن الناس عليه حزنًا عظيماً[٤] ، ولا ريب أن أحمد بن عبد الصمد قد فجعه مقتل أستاذه فى نفس المعركة التى أسر فيها هذا الشاب المسلم .

أبو بكر بن العربى :

الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد ، المعروف بابن العربى المعافرى الأندلسى الإشبيلى ، من أشهر مصنفاته كتاب (العواصم والقواسم) وهاجم ابن حزم هجوماً شديداً، حتى ألف رسالة فى الرد على ابن حزم تعرف برسالة « العزة»،

---

(١) قلائد العقيان ومحاسن الأعيان فى لمع أعيان القضاه ولمح أعلام العلماء السراة للفتح بن خاقان طبع بالمطبعة الخديوية ببولاق ١٢٨٣هـ تصحيح محمد الصباغ ص١٧٥

(٢) المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد تحقيق شوقى ضيف جـ ٢ ص ٦٧

(٣) الإحاطة فى أخبار غرناطة جـ٢ ص ٢٦٤

(٤) المصدر السابق جـ٢ ص ٢٦٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وله أشعار تشوق فيها إلى بغداد ، والحجاز[١] ، وتوفى بمدينة فاس (٥٤٣هـ) .

ابن الطراوة المالقى [٢] :

أبو الحسن سليمان بن محمد بن عبد الله بن الطراوة المالقى النحوى ، كان عالم الأندلس فى النحو فى زمانه ، وله كتاب (المقدمات على سيبويه) وأخذ عنه أئمة العربية بالأندلس وله أشعار متنوعة ، كالمدح والوصف وتوفى هذا العالم الجليل سنة ثمان وعشرين وخمسمائة[٣] .

وكان أحمد بن عبد الصمد بعد تلقيه العلم على هؤلاء العلماء الأفاضل معروفًا منذ أن شب بالذكاء ، والنبل مشهورًا بحفظ الأحاديث ، ذاكرًا للتواريخ والقصص ، وكان مجلسه ممتعًا[٤] ، وكان لابن عبد الصمد مملوك من أبناء الروم علمه الكتابة ، فكان يكتب عنه كل ما يؤلفه أو يصدر عنه من نظم ، أو نثر [٥] .

وتقلبت الأيام بالخزرجى ، حتى قدم مدينة فاس ، واستمر على ذلك صابرًا محتسبًا ، فانتفع الناس بعلمه ، وحضر مجلسه يومًا خطّاب رئيس أهل المعدن ، فسمع كلام الخزرجى وأعجب به ، وسأل عن مصدر رزقه ، فأخبر أنها من تفقد الإخوان ، وإحسانهم ، فاجتمع هذا الرئيس مع الخزرجى ، وسأله عما يحتاجه من

---

(١) المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد ، دار المعارف بمصر جـ١ ص ٢٥٥

(٢) ذكر هذا العالم صاحب تحقيق مقامع الصلبان عبد المجيد الشرفى، طبع الشركة التونسية لفنون الرسم ١٩٧٥م ص ١٠

(٣) فوات الوفيات والذيل عليها تأليف محمد بن شاكر الكتبى (ت ٦٨٤هـ) المجلد الثانى تحقيق إحسان عباس دار الثقافة ببيروت شخصية رقم ١٨١ ص ٧٩ – المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد جـ٢ ص٢٠٨ ، ٢٠٩ شخصية رقم ٤٩٤

(٤) السفر الأول من كتاب الذيل والتكملة لكتابى الموصول ، والصلة تأليف أبى عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصارى الأوسى المراكشى تحقيق محمد بن شريفة القسم الأول دار الثقافة – بيروت شخصية رقم ٣٠٨ ص ٢٣٩

(٥) الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشى قسم ١ ص ٢٣٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نفقة ، فلما علم أنه يكفيه ثلاثمائة دينار فى السنة دفع له ثلاثمائة دينار ، وأخبره أن هذا المبلغ لعامين مقدمًا بالإضافة إلى الكسوة وعطايا المواسم، واستمرت هذه الجراية تسعة أعوام حتى وفاة الخزرجى[1] سنة ٥٨٢هـ وقد ترك لنا الخزرجى مجموعة متميزة من طلاب العلم ، الذين درسوا على يديه .

(٨) تلامذته :

وبعد أن تلقى الخزرجى العلم من أساتذته اتسعت ثقافته ، وغزر علمه ؛ لحرصه على قراءة أمهات الكتب فى شتى فروع العلم ، حتى صار عالمًا جليلاً ، فانتقل من مرحلة تلقى العلم إلى مرحلة تلقينه لتلاميذه ، فصار له مجالس علمية يلتقى فيها بطلاب العلم ، ويقدم لهم من معارفه وعلومه ، ومن أشهر تلامذته أبى الحسن ابن عتيق بن موسى الذى لقيه ببجايه[2] .

■ وابن القفاص :

أبو الحسن على بن إبراهيم بن على بن إبراهيم الجذامى القاضى المتفنن من أهل غرناطة ، كان حسن التقييد ضابطًا لما يرويه ، فقيهًا مشاركًا حافظًا جليلاً ، واختصر كتاب الاستذكار لابن عبد البر وغير ذلك ، وتوفى قريب الظهر من يوم الأربعاء التاسع عشر لذى الحجة ٦٣٢هـ ، وكان مولده ضحى يوم عيد الأضحى من سنة ٥٥٥هـ[3] .

■ أبو سليمان بن حوط الله [4] :

داود بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر بن حوط الله

---

(١) الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشى قسم ١ ص ٢٤٠ ، ٢٤١

(٢) سلوة الأنفاس للكتانى جـ٣ ص ٢٤٢

(٣) مقدمة مقامع الصلبان تحقيق عبد المجيد الشرقى – الشركة التونسية لفنون الرسم سنة ١٩٧٥م، ص١٠

(٤) ذكر فى سلوة الأنفاس للكتانى جـ٣ ص٢٤٢ تعريف الخلف للحفناوى ص٦١ وجذوة الاقتباس لابن القاضى ص٧٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأنصارى الحارثى ، كان حافظًا للقراءة ، عارفًا بإقراء القرآن ، وكان محدثًا عالمًا بروايات الحديث ، ضابطًا لما ينقله ، وولى القضاء ببعض المدن الأندلسية كسبتة ، وألمرية ، والجزيرة الخضراء ، وكذلك تولى قضاء بلنسية ، وعرف بعدله فى القضاء ونزاهته ، ولد سنة ست وستين وخمسمائة ، وتوفى سنة إحدى وعشرين وستمائة .

■ **أبو محمد بن حوط الله** [١] :

الحافظ أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن حوط الله الأنصارى المالقى – كان إمامًا فى العلوم ، عالمًا بالأحكام ، متقدمًا فى علم الحديث، وما يتعلق بهذا من التأريخ ، والأنساب ، وأسماء الرجال ، وكان بصيرًا بعلم الأصول ، وأديبًا كبيرًا معتنيًا بالرواية ، وعرف بالزهد والورع ، وكان يقرض الشعر.

وولى هذا العالم الجليل القضاء بمدن أندلسية كثيرة ، كإشبيلية ، وميورقة ، ومرسية ، وقرطبة ، وسبتة وسلا ، ثم عاد قاضيًا لمرسية ، وتوفى بمدينة غرناطة فى شهر ربيع الأول سنة ٦١٢هـ ثم نقل إلى مدينة مالقة فدفن بجبانتها[٢] .

■ **أبو القاسم أحمد بن يزيد بن بقى** [٣] :

أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن مخلد بن عبد الرحمن بن بقى بن مخلد بن يزيد الأموى من أهل قرطبة ، ويكنى أبو القاسم تولى القضاء بمراكش بالإضافة إلى وزارتى المظالم ، والكتابة العليا ، فحمد الناس سيرته ولم تزده الرفعة إلا تواضعًا ، وتولى قضاء بلده قرطبة ، فسمع منه الناس،

(١) ذكره الكتانى فى سلوة الأنفاس جـ ٣ ص ٢٤٢

(٢) تاريخ قضاة الأندلس للشيخ أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهى المالقى الأندلسى وسماه كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا نشره أ- ليفى بروفنسال دار الكاتب المصرى ١٩٤٨ ص ١١٢

(٣) ذكره الكتانى فى سلوة الأنفاس جـ ٣ ص ٢٤٢ وتعريف الخلف للحفناوى ص ٦١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتنافسوا فى الأخذ عنه ، وكان يحفظ موطأ الإمام مالك فى الفقه ، ويدرسه لتلاميذه، وكان ينشد الشعر وكان أبو القاسم بن بقى إمامًا فى اللغة، وعلم العربية، وألف كتابًا فى الآيات المتشابهات ، أثنى عليه العلماء ، وكان لا يفارق هذا الكتاب فى سفرٍ ، ولا حضرٍ .

وكانت مؤلفاته تتميز بالاختصار ، وعدم الحشو ، وكان يميل إلى الظاهر فى أحكامه ، وكان أبو القاسم يكثر من الثناء على أستاذه الخزرجى ، ويعترف بفضله[1] .

ولد أبو القاسم يوم السبت بعد مضى أربع ساعات الثانى عشر لذى القعدة سنة سبع وثلاثين وخمسمائة من الهجرة ، وتوفى بعد صلاة الجمعة الخامس عشر من رمضان سنة خمس وعشرين وستمائة من الهجرة ، ودفن أبو القاسم بمقبرة ابن عباس بجوار قبر جده بقى بن مخلد .

بعد تعرفنا على بيئة الخزرجى الخاصة من حيث نشأته ، وأسرته ، وشيوخه ، وأساتذته الذين درس على أيديهم ، وتلامذته فإنه يجدر بنا أن نتعرف على البيئة العامة فى عصره من حيث الأحوال السياسية ، والاجتماعية ، والدينية ، حتى يعطينا ذلك فكرة عن المناخ العام ، الذى نشأ فيه ابن أبى عبيدة الخزرجى .

أ) الحياة السياسية :

تميز عصر الخزرجى باشتداد الحروب بين المسلمين والنصارى فى الأندلس ، فكان لا يكاد يمر عام ، أو الآخر إلا ويشتبك الجانبان فى حروب ومناوشات ، وكانت قرطبة التى نشأ بها الخزرجى من بين أهم المدن الأندلسية التى عانت من ويلات الحروب ولعل من أخطر الصراعات التى تركت أثرها على ابن أبى عبيدة حين لجأ

(١) الذيل والتكملة لابن عبد الملك الكراكشى قسم واحد ص ٢٤٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ابن حمدين [١] إلى النصارى يطلب عونهم ، فأمدوه بحاجته من الجند ، والعتاد ، ولم يستطع ابن غانية [٢] دفعًا للنصارى فدخل النصارى وابن حمدين قرطبة فى العاشر من ذى الحجة سنة « ٥٤٠ هـ » وامتنع ابن غانية بالمدينة ، فعاث النصارى بشرقى قرطبة ، واستباحوا المسجد الجامع ، وأخذوا ما كان فيه من النواقيس ، ورءوس الثريات ، ومزقوا المصاحف ، ويحكى أنه كان من ضمن هذه المصاحف مصحف سيدنا عثمان ، وأحرقوا الأسواق ، وقد اعترف المؤرخ الألمانى يوسف أشباخ بهذه الفظائع ، التى لحقت قرطبة من جراء النصارى ؛ إذ قال عن النصارى إنهم « أقاموا بمسجدها الجامع بين سخط المسلمين ، وارتياعهم قداسًا حافلاً برياسة أسقف طليطلة وربطوا خيولهم فى أروقته ، وتناولوا بأيديهم النجسة مصحف عثمان أقدس ذخائر المسلمين ، وأثاروا غضب الشعب بإغراقهم فى سوء معاملته ولم يراعوا شيئًا من الشروط التى سلمت المدينة بمقتضاها[٣] » .

وقد أسرَ الخزرجى فى هذه الحرب ، ورأى بأم رأسه النصارى وهم يعبثون بمقدسات المسلمين ، ويعيثون فى الأرض فسادًا ، واقتيد الخزرجى إلى طليطلة أسيرًا ، وهناك أكتوى بنار التنصير ، ودافع عن الإسلام[٤] دفاعًا عظيمًا، فورد فى مقدمة مقامع الصلبان :

---

(١) أبو جعفر حمدين محمد بن محمد بن على بن حمدين ، وكان بيتهم من أقدم البيوتات العربية، ولى قضاء قرطبة فى عام ٥٢٩هـ وأعيد مرة أخرى للقضاء ٥٣٦هـ ، وبويع بإمارة قرطبة ٥٣٩هـ واستقر بقصر الخلافة وتسمى بأمير المؤمنين وناصر الدين .

(٢) أبو زكريا يحيى بن على بن غانية كان واليًا على قرطبة ، وفارسًا شجاعًا أبلى بلاء حسنًا فى موقعة أفراغة ، وكان مشرفًا على شئون الأندلس ، وقائدًا عامًا للجيش المرابطى ت ٥٤٣هـ .

(٣) تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين : يوسف أشباخ ترجمة د. محمد عبد الله عنان – المعهد الخليفى للأبحاث المغربية (بيت المغرب) ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م – ص ٢٣٠

(٤) دولة الإسلام فى الأندلس لمحمد بن عبد الله عنان – العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس – القسم الأول – عصر المرابطين وبداية عصر الموحدين مكتبة الخانجى ط٢ سنة ١٤١١هـ سنة ١٩٩٠م ص ٣١٣

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« لمّا نفذ القضاء من الله تعالى على قرطبة باندثار ملكها وتفرق أهلها عنها ؛ لتتابع ضنكها ألحق منهم بطليطلة صبيًا من آل عبد الحق الخزرجى يوصف بالذكاء، وكان بها قسيس من القوط[1] يكثر الاعتراض فى الدين على نفر كانوا تابعين له من المسلمين فجعلوا يرفعون أسئلتهم إلى الصبى فيجيبهم الصبى عليها ، فيرجعون بذلك إلى القسيس فأنكر إجابتهم لعلمه أنهم ليسوا من أهل الذكاء ، فاستفهمهم فأعلموه بذلك » [2] .

وحينما علم القسيس بأمر الصبى بعث إليه رسالة تنصيرية يدعوه فيها إلى ترك التوحيد واعتناق التثليث فكتب الخزرجى كتابه « مقامع الصلبان » الذى سنتعرض لدراسته فى الفصول التالية .

ب) الحياة الاجتماعية والدينية :

استمر تماذج عناصر مختلفة من السكان على أرض الأندلس فى عهد الخزرجى، ونجد ازديادًا لبعض الأجناس ، التى كانت موجودة من قبل فى عهد ابن حزم ، كالبربر بحكم توحيد الأندلس تحت حكم المرابطين وكذلك السودان[3] والسقالبة على النحو التالى :

أ) طبقة الحكام :

وهم المرابطون الذين قدموا من المغرب ، وقد حافظوا على خشونتهم البدوية فى بداية حكمهم للأندلس واقتصارهم على الضرورى من العيش كخبز الشعير بالماء أو

(١) القوط نسبة إلى قوط بن سام بن نوح عليه السلام ، وهم ذلك الشعب الجرمانى الذى سكن أولاً عند مصب نهر فيستول ، ثم نزل إلى الجنوب من أوربا ، واستوطن الأندلس

(٢) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان لأحمد بن عبد الصمد الخزرجى ، تحقيق د. محمد شامة مكتبة وهبة ص ٥٣

(٣) لا صلة لهذه التسمية بما يطلق الآن على جنوبى وادى النيل ، وإنما تعنى تلك المناطق التى تمتد جنوب المغرب ، وما وراءه من غربى أفريقيا ووسطها